سمر البادية



ضرب المكانس



من يوميات معلم في البادية

تأليف
عمر عناني



رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٠/٤/١٥٠٥)

رقم التصنيف : ٨١٨,٠٣

المؤلف ومن هو في حكمه : عمر العناني

عنوان المصنف : سمر البادية/ ضرب المكانس من يوميات معلم في البادية

الموضوع الرئيسي : ١- المنوعات الادبية- اليوميات.

بيانات النشر : عمان: دار وائل للنشر

* - تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الرقم المعياري الدولي للكتاب: (ردمك) ISBN 9957-11-109-4

الطبعة الأولى ١٩٧٢ - القدس
الطبعة الثانية ٢٠٠١ - عمان

دار وائل
للطباعة والنشر

DAR WAEL
Printing - Publishing

شارع الجمعية العلمية الملكية - هاتف : ٥٣٣٥٨٣٧ ص.ب ١٧٤٦ الجبيهة

عمان - الأردن

سَمَرُ البَادِيَةِ

ضرب المكانس

مِن يَوميات معلِم في البَادِية

تأليف

عمر عناني

الطبعة الأولى القدس ١٩٧٢م

الطبعة الثانية عمان ٢٠٠١م



المؤلف

تقدمة

ﰡﰢﰣﰤ

حينما اطلع بعض الأخوان على بعض ما نشرته الصحف مــن هــذه اليوميات أبدى قسم منهم اعتراضه علي بسبب عدم مراعاتي لقواعــد النقــد الأدبي الكاملة في هذه اليوميات.

والحقيقة إن سبب الاعتراض في محله وان كنت لا اتفق معــهم فــي الاعتراض نفسه لأنني في الوقت الذي سجلت فيه هذه اليوميات كنت حريصاً كل الحرص على عدم تشويه واقع الحال بقواعد الصناعة الأدبية لتأتي هــذه اليوميات تعبيرا عفوياً صادقاً يصور واقع الربوع التي تناولتها في يوميــاتي بكل ما في هذا الواقع من ملامح وبصمات وما فيه من خير وشر....

ولعل حرصي على نقاء الصورة هو الذي دفعني على اعتبار نفســي جزءا من ذلك الواقع فلم أحاول التستر حتى على خلجات النفس بكل ما فيــها من قوة يعتز بها أو ضعف يخجل الإنسان منه.

إن هذه اليوميات أو هذه الصور الإنسانية الحية أرجو أن تؤخذ بالروح التي أملتها في إطار الواقع زمانا ومكانا وهي ليست مذكرات يسجلها صاحبها ليدل بها على الناس أو ليدافع بها عن مواقفه أو مواقف الآخرين وإنما هــي لوحة التقطتها أثناء عملي بين الأهل والعشيرة وأرجو مخلصاً أن تثــير فــي نفس القارئ ما أثارته في نفسي من إيمان بالحقيقــة القائلــة "إن أول عمــل مخلص هادف لإصلاح الواقع هو معرفة الواقع بكل ما في هذا الواقــع مــن مضحكات ومبكيات وبعدها الانتقال من هذا الواقع إلى واقع جديد أفضل.

عمر عناني

هذه اليوميات

ﻍﻍﻍ

بقلم: أحمد عبد أحمد

أيقنت – وأنا أحاول أن اكتب مقدمة قصيرة لهذه اليوميات – أن مهمتي شاقة، لأنها أجدر بدراسة مستفيضة تقع في خمس عشرة صفحة أو تزيد. وما كنت لأكتفي بهذه المقدمة القصيرة، لولا أن المطبعة "حشرت" قلمي في سطور قليلة لضيق المجال، بيد أنني سأعوض عن ذلك بدراسة لليوميات بعد صدورها.

إن هذه اليوميات حافلة بالمواقف التي تستحق التأمل، لطبيعة البيئة التي شهدتها.. وهي البادية. وقد تمكن الكاتب من تصوير تلك المواقف على الطبيعة، بما تميز به أسلوبه من رشاقة مستحبة، وجنوح موفق إلى إضفاء روح النكتة والسخرية اللاذعة من واقع اضطرته الظروف آنذاك أن يحيله... راضياً.

انك في "يوميات معلم البادية" تشم رائحة "الشيح" و "القيصوم" وغيرهما من خلال الكلمات، وتعيش مع أبطالها دون ان تشرب معهم القهوة "السادة".

ذلك إن كاتبنا القدير عمر العناني، اعتمد أسلوباً يندر في الأدب العربي نظيره... أنه بحق أسلوب شيق ممتع، يشد القارئ إلى أحداث هذه اليوميات، فلا يستطيع أن يؤجل قراءة بعض منها مهما طال به الوقت، لقدرة الكاتب الفائقة في حبك سير هذه الأحداث، والغوص في أعماق نفسيات أبطالها..

مثاني الكعيلة

꧁ ꧂

في عام ١٩٢٨ عينت معلما في - المزار - من أعمال الكرك ولم تكن هناك وسائل نقل غير الدواب.

وفي نهاية الشهر أردت قبض راتبي من الكرك ولكن ما هي الوسيلة التي سأستعملها للركوب هل استأجر حماراً؟ سيضخك مني تلاميذي.... هل أستأجر فرسا؟. ولكني لم أتعود ركوبها، وستطرحني أرضاً وسيكون في الأمر نهايتي.

وأخذتني العزة واستأجرت فرس منيزل النوايسة... وقفت عن يمين الفرس ووضعت رجلي اليمنى في ركابها ثم ركبت... وهنا تعالت قهقهات الطلاب حولي من كل جانب، فسألتهم ما يضحككم؟ قالوا كأنك لم تركب فرسا قبل اليوم، الخيل تركب من عن يسارها. وكان ركوبي الفرس على هذه الطريقة مجال تندر العشائر طيلة الأسبوع.

سارت بي الفرس ويدي على قلبي خشية ان تقفز بي فجأة فتكون القاضية وكان دعائي أن أتوارى بها عن عيون الناس سالما، حتى إذا اختفت المزار خلفي، نزلت عن الفرس وقدتها مشيا إلى الكرك وهناك نزلت في مدرسة الكرك الثانوية وربطتها في إحدى غرفها التي كانت لا تزال خربة منذ عهد الأتراك.

وفي الصباح جئت اعلف الفرس. فوجدتها مستلقية على ظهرها وقد انتفخت وأربعها في الفضاء، أخبرت الأستاذ حسن أبو غنيمة مدير المدرسة بوفاة المرحومة فقال: يا مسكين: ورطة ستكون بسببها نهايتك.. عجل بإحضار الطبيب البيطري ليكتب تقريرا بسبب الوفاة وسارعت الى الطبيب البيطري فكتب شهادة بأن الوفاة، ناتجة عن تلبك في المعدة.

رجعت إلى المزار وذهبت إلى - الشيخ منيزل النوايسة. وكان يجلس في شقة - مكان الضيوف وحوله قومه - وأخبرته بوفاة المرحومة فهدر وزمجرا وأرغى وأزبد وتهدد وتوعد، ثم قال، الله يكون في عونك على حملك- .

وتابع حديثه قائلا: هذه الكحيلة - ترجع في نسبها وحسبها إلى خيل بني هاشم وابنة عمتها - المخلدية - فرس خالد بن الوليد - وعدد من انسلب الخيل عشرين نسبا - غير ان الكحيلة أعلاها نسبا وأنت لست مكلفا بدفع ثمن المرحومة وحدها فقط بل عليك ان تدفع ثمن مثانيها وفوائضها أي بناتها وحفيداتها التي تصل إلى أربعين مهرة، والمرء صهر لمن يبيعه مهرة أكثر ممن يزوجه ابنته.

قلت له: وما ذنبي في الأمر؟ ولم هذه المقدمة الطويلة العريضة إذا كانت المرحومة قد ماتت بقضاء الله وقدره!

فرد منيزل وقال (إن فرسي تحوي كل محاسن الخيل لأن فيها الثلاث الواسعة وهي انفها وصدرها وحافرها، والثلاث القصيرة وهي، أذنها و"قينها" وهو مكان وضع القيد في قوائمها وذيلها، والثلاث الطويلة وهي عنقها وساقها

ومعرفتها وغير ذلك من الأوصاف التي عددها ولم تعيها الذاكرة ثم أردف قائلا (انك قتلتها وأنت تسابق عليها في الميدان) -

وعندها اضطررت أن أكشف سري وأفضح أمري: وقلت: "اتق الله يا شيخ منيزل.. إنني لم اركبها طويلا وقد ترجلت عنها حالما تواريت عن البلد فأنا لم أتعود ركوب الخيل".

قال: - هيهات حجة لن تغنيك شيئا -

قلت: سل أهل مؤتة الذين مررت بهم في طريقي... هل كنت أقودها أم أركبها - غير ان الطمع أعماه فرفع علي قضية لدى المحكمة، ونصحني الناس بأن أصالحه وأدفع له ثمن - الكحيلة - وأريح نفسي من المحكمة وحبائلها الطويلة. وذهبنا نعرض عليه (الصلحة) ولكنه فرقع بأصبعيه قائلا: يا حيلك يا هالعوس - وهي جملة استهزاء يقولها الكركي لحديث لا يعجبه.

قلت: وكم تريد ثمنها؟ قال: رحمة بك ثمنها عشرون دينارا، وثمن مثانيها - أي ذراريها مائتا دينار -.

وبموجب هذا الحساب كان علي أن اعمل أربع سنوات بكاملها لأدفع ثمن الكحيلة لأن صافي راتبي كان خمسة دنانير.

وسارت القضية في المحكمة، فحكم الشيخ عبد الحي مراد رئيس المحكمة ببراءتي من دم المرحومة وبعد أن أتم القاضي تلاوة القرار في قاعة المحكمة دخل إلى القاعة رجل مهيب اهتزت له جنبات القاعة ووقف الجميع يقولون رفيفان باشا. رفيفان باشا.

ولأول مرة أرى الباشا إنه شيخ مهيب يلبس ثيابا فضفاضة "رفـــالي" - أي بدون حزام - يجر ذيول عباءته فتكنس الأرض من خلفه، يتدلى إلـــى جانبه سيف مذهب يزيد صاحبه هيبة ووقارا إذا ما قـــرع الأرض فتجــاوب الصدى في القاعة، صعد المنصة فوقف القاضي وأجلسه إلى جانبه بعـــد ان سلم عليه: قال: الباشا - اسمع يا شيخ عبد الحي. منيزل النوايســـة، وضـــع مريره - عقاله - في رقبتي وشاهد علي، يلزم ان تحكم الخطيب العناني فـــي ثمن - الكحيلة - .

وقال القاضي: لو تقدمت قليلا يا باشا لكان ذلك ممكنا أما الآن فقـــد صـــدر الحكم وسجل. قال الباشا: غير الحكم وقل "منيزل دخيل رفيفان".

قال القاضي: هذا لا يجوز في المحاكم النظامية ولكنه يجـــوز لـــدى الحكام الإداريين.

قال الباشا: إذا لم تفعل ما أقوله لك فاعتبر نفسك منقولا من الكـــرك. وكان ما أراد الباشا ونقل القاضي.

ثم استأنف منيزل الحكم إلى عمان فجاء الحكم مصدقا كما حكم علـــى منيزل بمصاريف المحكمة وأتعاب المحامي.

حضرة السيد عمر عناني المحترم

بعد السلام ان منيزل لم يقبل الصلح بمايتين مجيدي والجماعة تقـــرر إرسال الأوراق الى البيطر الذي عمان أي بيطر الجيش لـــهذا اكتبـوا لمـن تريدوا بهذا الشأن ويقبضوها في عمان ودمتم بخير

الداعي

٣١ كانون ثاني سنة ٩٢٩هـ المحامي عبد الله العكشة.

حضرة السيد عمر عناني المحترم

سلام واحترام وصل تحريركم وفاله صار معلوم. بخصوص الدعـوى قد رجع لحكم مصدقا وبهذه الصوت فأنكم كسبتم الدعوى نهنيكم بذلك.

أرجو أن تتفضلوا بإرسال الأحبة التي وعدتموني بها لبســت القنتـة وأشكركم سلفان سلامي للجميع ودمتم بلحترام ٩٣٠/٦/٢٦

الداعي المحامي عبد الله العكشة.

سرقوني فسرقتهم

ﮪﮫﮬﮭ

لما عدت في السنة الثانية أخذت كتاب توصية من متصرف لواء الكرك في ذلك الوقت السيد مصطفى الرفاعي، إلى قائد مخفر المزار السيد يوسف أبو شحوط، فاستقبلني قائد المخفر بكل احترام، وذبح لي ذبيحة، وأنزلني في المخفر أنام على سرير من سرر الدرك، وكان نزولي عندهم يخفف علي من وحدتي، في قرية لم يكن فيها أكثر من عشرين بيتا، ليس فيها مقهى حتى ولا مقعد للضيوف، كالقرى الأخرى لان معظم سكانها كانوا يعيشون في بيوت الشعر المتنقلة.

كان أستاذنا مصطفى الدباغ، أحسن الله إليه قد أوصانا "لا تضع نقودك في جيب واحد، وضعها في جيوب متفرقة، وكان معي عند نزولي في المخفر خمسة جنيهات ذهبية، وخمسة جنيهات ورقية قطعة واحدة، وثلاثة جنيهات ورقية، وضعت القطع الذهبية في اسفل الحقيبة، والثلاثة الأخرى في أعلى الحقيبة، وزيادة في الحيطة كنت قد طويت الأوراق النقدية من قرنها على شكل مثلثات إذا فقدت عرفتها بهذه العلامة.

كنت جالسا في ظهر أحد الأيام في دكان فارس الصرايرة، فدخل كاتب المخفر ن العجلوني يحمل ورقة من ذات الخمسة جنيهات، وطلب صرفها من التاجر ولما ناولها ن إلى التاجر نظرت إليها، وإذا بها مطوية على الطريقة التي أطوي بها نقودي، فقلت في نفسي سبحان الله كيف اتفقت

والسيد ن في هذه الفكرة، ولم يخطر ببالي مطلقا أن يخونني مضيفي، ومـوت ثلاثة أيام على هذا الحادث ذهبت بعدها إلى بـــائع فاكهـــة يدعـــى ســـليمان النابلسي، وطلبت منه ان يعطيني رطلا من العنب بالدين، لأنه لم يكن معـــي في حينها نقود فرفض سليمان مداينتي، وأخذتني العزة، وذهبت مسرعا إلـــى المخفر، وفتحت الحقيبة لآخذ منها الخمسة جنيهات، لأري سليمان إنني لســت مفلسا، وأن معي خمسة جنيهات قطعة واحدة، وبحثت عنها فلم أجد لها أثـــرا، وبحثت عن الثلاثة جنيهات فوجدتها مفقودة أيضا، ووجـــدت فقـــط الخمســـة جنيهات الذهبية، وعندها أصبت بصدمة عنيفـــة وتذكـــرت قطعـــة الخمســـة جنيهات التي صرفها ن من فارس الصرايرة.

لم يكن باستطاعتي أن أفعل شيئا غير اني أخبرت السيد يوســـف أبـــو شحوط قائد المخفر بالأمر، فأعلمني بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا أكثر من أن يحلف جميع الجنود في المخفر على القرآن الكريـــم، وأحضـــر المصحـــف، وحلفوا جميعا، والوحيد الذي غضب عندما حلف هو السيد ن، الـــذي جعـــل يقول ومن أين لك نقود؟ هذا جزاء إكرامنا لك تتهمنا بالسرقة! وتكلم كثـــيرا بحدة فأجبته لماذا غضبت؟ إني لم أطلب من قائد المخفر أن يحلفكم، واســـتمر في غضبه وهياجه، وعندها قمت وخرجت من المخفر، ولم أعد إليه غير أنني قررت في نفسي الانتقام ممن سرقني، وجعلت اهيىء الظروف للانتقام من ن لأنني تأكدت بأنه هو السارق وكان قد اشترى بالخمسة جنيهات التي ســـرقها مسدسا ألمانيا سريعا.

كنت أعرف من إقامتي عندهم ترتيب أعمالهم، كان الجنود مع قائد المخفر يخرجون في الأسبوع ثلاث مرات ليلا ولا يبقى في المخفر إلا كاتب المخفر ن العجلوني وجندي آخر.

تعرفت في قرية مؤتة على صاحب مطحنة من الكرك يسمى محمد العلاوية، فجعلت أنام عنده فوق سطح المطحنة، وفي ليلة مقمرة، علمت فيها أن الجنود في دورية ليلية، سهرت مع محمد العلاوية وأشخاص آخرين إلى منتصف الليل، وبعد أن تأكدت من نوم جميع الأشخاص لبست حذاء خفيفا من الكاوتش من النوع الذي يستعمل في الألعاب الرياضية، ودلفت من أعلى السطح بخفة، وتوجهت إلى المزار، فوصلت إلى المخفر، وهو عبارة عن متجرين تجاريين مستطيلين ببابين ضخمين من الخشب بثلاث دفات، تفتح الدفة الوسطى منهما للاستعمال الدائم، وتثبت الدفتان الأخريان بزندين من الحديد، ولا تفتحان إلا عند الضرورة، وزرفيل الباب ضخم من صنع الخليل، بمفتاح كأنه مسدس، وجدت ن العجلوني نائما على ظهره في سرير من سرر المخافر وقد وضع مفتاح الباب تحت رأسه كما كنت أعرف ذلك فسللت المفتاح من تحت رأسه ولكنه أفاق قبل أن أخرج المفتاح بكامله فخنست بجانب السرير ونظر هو إلى السماء فلم يجد أحدا، ولو أنه نظر إلى جانبه، وحاول الإمساك بي فإني قاتله لا محالة بمسدسي، خوف الفضيحة، غير أنه بعد نصف ساعة عاد إلى النوم ثانية فعلا شخيره فوقفت وأخرجت المفتاح الذي لم يكن قد بقي منه إلا الجزء القليل وليس تحت رأسه وإنما تحت طرف الفرشة فتناولته بحذر ووضعته في الغال وجعلت أديره قليلا قليلا لأنني لو تركته ينطلق على سجيته لأحدث صوتا يشبه صوت المسدس إذا انطلق، وبعد إدارته ثلاث مرات انفتح الباب فدفعته قليلا قليلا حتى انفتح بكامله، وبما

ان ن هذا كان ينام على الباب بالعرض فقد اضطررت أن "افحج" من فـــوق السرير، لأنه قليل الارتفاع، ولما صرت داخل المخفر وجدت المسدس الـــذي اشتراه ن معلقا بحمالته في مسمار على الحائط الشرقي ووجدت بندقية أخرى مسندة على الحائط فحملتهما وخرجت كما دخلت ورددت الباب خلفي وسـوت غير بعيد عن المخفر وفي قناة محفورة لتصريف المياه وقد غطاها الـــتراب والقش المتطاير من ذراة البيادر فحفرتها بيدي ووضعت البندقية والمســـدس داخل القناة وأهلت عليهما التراب والقش وأعدت القناة كمـــا كــانت وعـدت مسرعا أسابق الريح في سهل المزار الذي لو تدحرجت فيه كرة لما وجدت ما يوقفها حتى وصلت إلى مؤنة وصعدت إلى أعلى المطحنة، ونمت في فراشي كأن شيئا لم يحدث، وحاولت ان أغمض وان أطبق جفوني ولكن أنى للنوم أن يزور مذعورا قلقا لا يدري ماذا يفعل الله به في الصباح.

وعندما ذر قرن الغزالة سمعت مناديا ينادي بأعلى صوته يا أستاذ يـــا أستاذ! فلم أشأ أن أرد عليه وتناومت فرد عليه صاحب المطحنة ماذا تريـــد؟ فإذا به جندي قال له "أريد الأستاذ على عجل" فأيقظني السيد محمد العلاويـــة وفركت أجفاني كمن يريد أن يزيح عن عينيه كابوس النوم وأجبـــت بلعثمــة مصطنعة: "نعم ابعد عني أريد أن أنام" فقال: "ان جنديا في الطريق يطلبـــك" فقلت: "وماذا يريد الجندي مني في هذا الوقت المبكر"! فقال "لا أدري، ها أنت رد عليه"، فقمت وإذا بفارس يمتطي فرسا زرقـــاء، أشـقر اللـــون، أشـــقر الشوارب، ممتلىء الجسم، ربعة في الرجال، عرفت فيه الدركي علـــي عبـــد القادر، سألته "يا ساتر ما الخبر"؟ قال "لا شيء" "لكنهم يريدونك في المخفـــر، لأمر هام" فقلت له "عد إلى المخفر وسأغسل وجهي والبس ثيـــابي وأتنـــاول فطوري واتبعك إنني قادم إلى المدرسة بطبيعـــة الحـــال"، فقـــال "لا بـــد أن

ترافقني" فلبست ثيابي ونزلت عن السطح وسرت بجانب الفارس أحـــاوره لا عرف السر الذي من أجله يدعونني وأظهرت تجاهلا وعدم اكتراث بـــالأمر لأضلل الفارس، وأقنعه ببراعتي، لم أكن خائفا ان يجري معي تحقيق لأننـــي كنت قد هيأت الأمر بحيث لم اترك أي اثر للجريمة ولكن الذي كان يخيفنـــي المناظر الرهيبة التي كنت أشاهدها في المخفر، والتعذيب المميت الذي كـــان يلقاه أمامي المتهمون لأقل الأسباب، هذا التنكيل والتعذيب هو الذي يملأ قلبـي رعبا، لقد كنت افضل الموت على ساعة من التعذيب، ولما وصلنا إلى طرف قرية المزار كان الخبر بسرقة المخفر قد انتشر في البلدة فخرج الناس لـيروا أية ميتة سيموتها الأستاذ الذي تجرأ على دار الحكومة، وما وصلنا المخفر إلا وأنا أسير في موكب من الطلاب وسكان القرية يزيد علـــى مائـــة شـــخص، فدخلت المخفر ولم يكن فيه غير صاحبنا ن والجندي علي عبد القادر فـأمر ن الجندي أن يبعد الناس حتى لا يشهدوا عذابي.

جلست على الكرسي المقابل لنون، فابتدرني قائلا "اني اعرف لمـــاذا سرقت المسدس والبندقية انك تتهمني بأنني أنا الذي اخذ نقودك، وقد حلفت لك على المصحف، وأنا مستعد ان أحلف واقسم بالله العظيم إنني ما أخذت لـــك قرشا واحدا، وأرجو إعادة المسدس والبندقية وسوف لا أخبر الحكومة وسأبقي الأمر مكتوما بيني وبينك"، قلت فإذا رفضت، قال وقد شهر في يده خيزرانـــه معقدة "فستبقى تضرب وأقسم بالله إنني لن أتركك حتى تعيد المســـروقات أو تموت". لقد كنت متأكدا من تهديداته ومددت يدي إلى المصحف الـــذي كـــان على المنضدة وقلت "سأحلف لك بأنني لا أعلم شيئا عن المســـدس والبندقيـــة" فجذب المصحف من يدي وقال "إلى أين؟ تأكد يا أستاذ، أنـــه لا يســـتطيع أي فرد في أمارة شرقي الأردن أن يفعل هذه الفعلة غيرك، وإذا كانت السرقة في

السماء فعليك إنزالها، وإذا كانت في جوف الأرض فعليك إخراجـها"، فقلـت "اسمع يا هذا هل أنت مصمم على قولك هذا؟" فقال بالتأكيد فقلت "إذن هـات الثمانية جنيهات لأعيد إليك المسدس والبندقية، وإن أبيت فـهذا يميـن بـدل يمينك"، فجن جنونه، وقال الآن "سترى الموت". وكان الجندي علي عبد القادر لا يزال بباب المخفر يطرد الناس بعيدا فإذا عاد ثانية عادوا خلفه ولما تـأكدت من صدق وعيده، نهضت قائما وأسرعت إلى باب المخفر، فلحـق بـي ن، فأمسكت بكتفي علي عبد القادر وجذبته جذبة قوية، ودفعت به فـي وجـه ن الذي كان مسرعا خلفي، فارتطما رطمة قوية وخرجت من الباب وإذا بكومـة من الحجارة التي نظفها أهل البيادر ونوع هذه الحجارة صوانية مسننة كتلـك التي كان يستعملها الإنسان الأول سلاحا، وبما أنني قروي رعيت الغنم فقـد كنت أتقن ضرب الحجارة، وقفت على كومة الحجـارة، فأسـرع ن نحـوي فرفعت يدي بحجر مسنن، فأدار لي ظهره فأطلقتها، فاستقرت علـى اللوحـة وكان الوقت صيفا وكان ن يلبس قميصا أزرق من النوع الذي يلبسه الجنـود في ذلك الوقت، فرأيت الدم قد ظهر على القميص وعـاد ن مسـرعا إلـى المخفر، واستمررت في ضرب الباب بالحجارة فأغلقـاه واسـتقررت فـوق كومتي وكلما حاولا فتح الباب، أو شقه، أسرعت فقذفتهم بحجر وأخيرا أمسك ن البندقية وصوبها نحوي، قلت له، "إن كنت رجلا فاقتل"، وكنـت أفضـل الموت، على التعذيب والإهانة، ثم ألحقت كلمتي بحجر قذفته به فعاد وأغلـق الباب، كل ذلك وسكان القرية من حولنا يشاهدون ما يحدث وطلابي يصفقـون لكل حجر أقذف به الجنديين، وأغلق الباب في هذه المرة مدة تزيد عن ربـع ساعة فتركتهم وتوجهت إلى المدرسة وقرعت الجرس وأدخلت الطلاب إلـى الصف، وبدأت في التدريس، وبعد ساعة من الزمن، جاءني إلى المدرسة التي

كانت عبارة عن غرفة واحدة، وهي الأخرى دكان من دكاكين القرية بالقرب من مخفر الدرك دخل فارسان يشهران بندقيتيهما نحوي مثبتة في رأس كل بندقية حربة من التي تستعمل للطعان في وقت الحاجة عرفت منهما موسى القاسم وهو شقيق صدقي القاسم قائد منطقة الكرك في ذلك الوقت، وقال موسى "تفضل يا أستاذ إلى المخفر" وكان قد عاد جميع الفرسان من دورياتهم وعددهم سبعة عشر فارسا، فقلت له إني موظف حكومة، وأطلب منك ورقة جلب أو مذكرة إحضار، ولكنهما تقدما مني وأمسك كل واحد بذراع وانتزعاني من الكرسي، وعندها مشيت معهما، فوجدت بباب المدرسة جميع سكان القرية قد تجمعوا بالباب، واستنجدت بهم ليحموني من ظلم هؤلاء الجنود وكان من بين الحاضرين الشيخ علي بن خلف الطراونة فقلت له "يا شيخ أنا طنيب عندكم ومعلم لأولادكم. وحمايتي واجبة عليكم"، فأجابني "أنت وهم أبناء حكومة، ونحن لا شأن لنا بكم"، وسرت حتى أدخلت المخفر فوجدت الجنود وعلى رأسهم يوسف أبو شحوط يكاد الشرر أن يتطاير من عيونهم فأيقنت بالهلاك، وكان طلاب المدرسة وأهل القرية قد تبعوني إلى المخفر، ليشهدوا عذابي، ويروا أية ميتة سأموتها وخرج الجنود ينهالون على الناس بالسياط، ليبعدوهم عن باب المخفر وأنا كانس على المقعد والدنيا في عيني أضيق من سم الخياط، وكم كنت أتمنى لو أن إحدى بنادق الجنود المثبتة في الحامل مملوءة بالذخيرة، لأفرغها في صدور هؤلاء العتاة وفيما أنا غارق في هذا التفكير، أنتظر قدري المحتوم ولم ينبس أي واحد من الجنود ببنت شفة، لاحت لي بارقة أمل في النجاة، ذلك ان أحد الفرسان خرج ليطارد من بالباب وترك باب المخفر خلفه مفتوحا فانتهزت هذه الفرصة وقفزت مسرعا نحو الباب، وأطلقت ساقي أسابق الريح في سهل المزار الفسيح، وكنت من

العدائين الممتازين أضف إلى ذلك عامل الخوف المستحوذ علي والذي كان يدفعني كأني اجري بالذرة.

انطلق جنود المخفر جميعا خلفي، بأحذيتهم الثقيلة، وأحزمة الجلد الملفوفة على سيقانهم، ومهاميز الخيل التي اسمع رنينها فينخلع قلبي هلعا، ولكن أنى لهم أن يلحقوا بالغبار المتطاير تحت أقدامي، ولما لم يجدوا حيلة باللحاق بي، عادوا إلى الخيل يمتطونها ويلهبون ظهورها بالسياط، وعندها تأكدت أن لا حيلة لي في سباق الخيل خصوصا وان أرض المزار سهلية. كان في الطرف الآخر من القرية تاجر نجدي يسمى محمد الفوزان، كان دكانه مقسما إلى ثلاثة أقسام بقواطع خشبية، القسم الأول الموالي للباب وفيه يقف المشترون، والقسم الثاني يجلس هو فيه مع سماره يحتسون القهوة السادة، ثم قاطع آخر يعلو إلى سقف الدكان، هذا الحاجز مقسم بفواصل خشبية يضع فيها البضاعة، وخلف هذا الفاصل مخزن يضع فيه الحبوب التي يبيع بها بالمقايضة.

دخلت دكان محمد الفوزان دون أن يراني، وكان يتناقش مع أحد جلسائه وهم يحتسون القهوة، لم ادخل إلى المكان الذي يجلسون فيه، وإنما صعدت خفية خلف الفاصل الخشبي، وجلست مختفيا فوق الحبوب، ودخل الجنود الذين عرفوا من الناس أين مكاني، وسألوا محمد الفوزان أين الأستاذ؟ فقال لهم "اني لم أره"، فقالوا "لقد أخبرنا الناس انه دخل إلى دكانك" واحتدم الجدال بينهم وامسكوا بأطواق محمد الفوزان، وعندها دفعت بكل قوتي الحاجز الخشبي، فانهار بكل ما فيه من بضائع فوق رؤوس الجنود مع من في الدكان فعلا الضجيج والهرج والمرج ونظرت إلى يميني فإذا بنافذة صغيرة،

تظهر في الجانب الجنوبي، توصل الدكان ببيت سكن التاجر، فانسبت منها إلى داخل البيت، فصاحت زوجة التاجر مولولة، وهي لا تعلم من أمر ما يحدث شيئا، فتوسلت إليها وأخبرتها بأني هارب من الفرسان لأنهم يريدون قتلي، وسألت المرأة عن سلاح أدافع به عن نفسي، فقالت لا يوجد عندنا سلاح وتلفت حولي فوجدت قطعة سيف، يظهر انهم كانوا يستعملونها لتقطيع اللحم، فانفرجت لها أساريري وأمسكت بها، وأشهرتها بعد أن أحكمت إغلاق باب الدار، واخرج الجنود ومن في المكان من تحت ما يسمى بالسدة الخشبية، وكلهم مصاب برضوض وجروح، ودخل التاجر من النافذة مصابا ببعض الرضوض والجروح، والحقيقة ان الرجل كان شهما فلم يبد أي امتعاض مما حدث واطل الجندي موسى القاسم من النافذة يريد ولوجها، ولا يستطيع المرء الدخول إلى البيت من هذه النافذة إلا زحفا على بطنه، فقلت له "يا موسى والله لئن فعلت وأدخلت رأسك، فإني سأفصله بسيفي هذا، وليفعل الله بعد ذلك ما يشاء "وقال صاحب الدار للجندي" دعوه يا موسى فانه مستقتل، فوقف هو وجندي آخر بباب النافذة وقد وضعا حربتيهما برأس بندقيتهما ووقف جنديان آخران بالباب.

قام التاجر يقدم بعض الطعام ولكن أين النفس التي تقبل الطعام في هذا الموقف العسير وأجبرني على الأكل فوضعت لقمة في جوفي فاستقرت في مكانها لا تنزل ولا تصعد فدفعتها بشربة ماء ولما رأى ما حل بي من اللقمة الأولى كف عن ملاحقتي لتناول الطعام، وبقيت على هذه الحال إلى الساعة الثالثة مساء، حينما أطل الشيخ محمد بن منيزل القطاونة من النافذة وصاح (يا أستاذ!) فتهلل وجهي فرحا فأجبت (نعم) فقال "اخرج ولا تخف فخرجت لأني اعلم انهم لن يمسوني بسوء طالما وأنا معه لما له من المنزلة ولما يتمتع به

من الشجاعة والشهامة ومن المنزلة عند سمو الأمير عبد الله ومحمد منـــيزل هذا هو حاتم طي ذلك العصر، والحديث عن كرمه يحتاج إلى كتاب خاص.

ألقيت السلاح وسرت بجانبه إلى المخفر وسار خلفي الأربعـــة جنـــود مدججين بالسلاح دخلنا المخفر فقال أبو السيد (محمد منيزل) مخاطبـــا قـــائد المخفر "لقد بلغني من ابني الطالب في المدرسة ما فعلتم بالأستاذ وأنا انـــــزل كما تعلمون على رأس وادي الحسا فجئت خصيصا من اجل هذا الأمر مـــاذا يقول الناس عنكم وانتم عشرون جنديا تطاردون عيلا" (أي ولدا صغيرا) (لان سني في ذلك الوقت كانت ثمانية عشر عاما).

أجابه قائد المخفر (إننا لا نريد منه شيئا وكل ما في الأمر أنه ســـرق من المخفر مسدسا وبندقية ونريد ان نأخذ منه إفادة (فقال محمد منيزل وقـــد اخرج مسدسه وكان نصابه يبرق لأنه مطعم بالفضة وقال : "هذه (ردنتي) أي مسدسي خذوها بدل مسدسكم وهذه بندقيتي (وكان نصابها هي الأخرى مطعما بالفضة) خذوها بدل بندقيتكم" ثم أردف قائلا "انه أستاذ يعلـــم أولادنـــا وهـــو ضيف علينا وعليكم". فرد قائد المخفر "تسلم يا أبا السيد لا نريد منـــك شـــيئا وإنما نريد فقط اخذ إفادته"، فقال (خذوا إفادته) وها أنا واقف فقال قائد المخفر (لا لزوم لها اليوم ولكن غدا سنأخذ إفادته) فقال محمد منيزل "انه في وجـــهي" أي (في حمايته).

أثناء هذا الحديث رجع إلى نفسي الهدوء والاســـتقرار ونظـــرت وإذا بحقيبتي لا تزال في المخفر تحت السرير الذي كنت أنام عليه وفيها ملابســـي والجنيهات الذهبية، فقلت لمحمد منيزل "يا أبا السيد أريد نقل حقيبتـــي، فقـــال خذها فتناولتها وآيات الحقد والغيظ في وجه ن ندما لأنه لم يفطن إلى الحقيبة.

ونقلتها إلى دكان فلاح النوايسة وجلست عنده واجتمع الناس من حولي يروون أحداث اليوم وحسبت ان يعودوا فيطلبونني مرة ثانية بعد ذهاب محمد منـيزل فأحضرت مسدسي الخاص وعبأته سبع طلقات وقلت في نفسـي إذا عـادوا وطلبوني للمخفر وحاولوا تعذيبي فسأقتل بكل رصاصة جنديا فأنا مقتول على كلتا الحالتين.

عند غروب الشمس جاء جندي يدعوني للمخفر فقام الناس يسـيرون خلفي في موكب ليروا ماذا يحل بي فقلت للجندي "ألا تـرى هـؤلاء النـاس يتبعوننا؟ سر أمامي وسألحق بك" فابتعد عني وأنا أسير خلفه بخطى وئيـدة، وجعلت احدث نفسي "هل اتبعه إلى المخفر"؟ وهناك تكون المجـزرة أم افـر وأين المفر؟ ارض المزار سهل فسيح، يلحقون بي على ظهور الخيـل ليـت ارض المزار ارض جبلية إذن لعجزوا عن اللحاق بي، وفيما أنا غارق فـي أفكار مزعجة أترقب مصيرا من التعذيب يغذوه الحقد والكراهية، وإذا بسيارة تفرغ ركابا وأدار السائق السيارة ليعود إلى الكرك فقفزت إلى داخلها بخفـة وقلت للسائق أسرع أكاد أموت من الألم وأخرجت له جنيها أغريه بالسـرعة فأطلق لها العنان واستدار الجندي ليراني خلفه فلم يشاهد إلا غبـار السـيارة المندفعة وسمعت طلقة عرفت أنا كنهها ولكن السائق لم يعرف وإلا لما تحرك خطوة واحدة.

وصلت الكرك، فتنفست الصعداء، وأسرعت إلى رئيس المحكمة فـي بيته ويدعى الشيخ عبد الحي مراد، وأصله من غزة. وكان رئيس محكمـة، وقاضيا شرعيا في آن واحد، فقصصت عليه ما حدث ولكني أنكرت المسدس والبندقية، فاتصل بصدقي قاسم قائد المنطقة، واخبره عما لحقني مـن الأذى

من جنوده فقال صدقي قاسم ان جميع "مرتبات" أي جنود المزار قد وضعوا في السجن العسكري، لان ولدا صغيرا قد جعل منهم اضحوكة في ناحية المزار، فليعد إلى مدرسته ولا يخشى احدا، وفي الصباح سألت القادمين من المزار فاخبروني ان جميع جنود المخفر قد نقلوا من المزار، واستبدلوا بغيرهم فذهبت إلى المدرسة.

وفي منتصف الليل تسللت إلى القناة التي أخفيت فيها البندقية والمسدس ونبشت التراب وأخرجتهما.

كان في المزار بعض التجار من الخليل، منهم عاطف أبو شقرة، وكان متحمسا لي في هذا الموضوع لان كلانا من لواء الخليل، فسلمته البندقية والمسدس، فباع البندقية بثلاثة جنيهات، وأرسل المسدس مع ابنه محمد ليباع في فلسطين لان ثورة عام ١٩٢٩ كانت مستعرة.

عاد محمد عاطف بعد شهر، ليخبرنا بأنه بينما كان يخوض نهر الأردن ليقطعه إلى فلسطين، إذ بالجنود البريطانيين يداهمونه، فألقى بالمسدس في النهر، وصدقته غير أني عندما عدت إلى الخليل في العطلة الصيفية دعاني ابن عمي طاهر العناني وبيته في الخليل وكان يقوم بالبناء له بناء من الخليل يسمى نمردعنه، فلما عرفني به ابن عمي واني في المزار، اخرج المسدس من جرابه وقال هذا هو المسدس الذي أخذته من جنود مخفر المزار؟ لقد اشتريته من محمد عاطف بخمسة جنيهات، وقد اخبرني بقصتك مع الجنود.

لقد أغاظني هذا العمل من محمد عاطف، لقد كنت قد نقلت إلى قرية بصيرة. ركبت حصاني الهجام وذهبت إلى المزار ولم اخبر عاطفا عن فعلة

ابنه بالمسدس، واشتريت منه أغراضا بقيمة الخمسة جنيهات بالدين ولما بعث يطلبها مني أخبرته أنها ثمن المسدس الذي باعه ابنه لنمر دعنه.

أجريت لي محاكمة بتهمة السرقة واعد الجنود كل البراعة الحقيقية وأشهدوا علي حراس القرية بأنني قد اعترفت أمامهم بالسرقة ولكن حبل الكذب قصير فبرأتني المحكمة.

ضرب المكانس

بلغت بالنقل إلى قرية بصيره فركبت الهجام وحملت أثاثي على بغل واتجهت إلى الجنوب حتى وصلت إلى وادي الحسا وقد كان وعر المسالك عميق الانخفاض فانحدرت إليه من الشمال وخرجت منه من الجنوب في مدة تزيد على الأربع ساعات وفي المساء وصلت إلى الطفيلة فبت ضيفا عند عبد المجيد جويحان وتوجهت في الصباح إلى قرية بصيره فوجدتها عدة بيوت خشبية جاثمة على قمة جبل مرتفع يشرف على وادي عربة وذهبت إلى المدرسة، وإذا بها بناء خشبي مستطيل الشكل، يزيد طوله عن الثمانية أمتار وعرضه ثلاثة أمتار ونصف، في سقفه ثلاث أقواس حجرية، يرتكز عليها الخشب، وفي البناء نافذة واحدة من جهة الغرب، وباب صغير من الجهة الجنوبية، وعليه حوش تبلغ مساحته خمسة أمتار طولا في أربعة أمتارا عرضا وهذه الساحة هي ميدان الرياضة ومكان النزهة.

والمدرسة محاطة بالبيوت من جميع جهاتها، في أقصى هذا المستطيل اقتطع ما يقرب من المتر والنصف، ترتفع قليلا عن ارض الغرفة، وهذه هي مكان سكن الأستاذ.

في هذا العام غزت أرجال الجراد شرقي الأردن وغرز الجراد في منطقة الضحل من أراضي بصيرة، فأرسلت فرقة بقيادة المستر هورسفيلد لمكافحة الجراد، ونصبت خيامها على مشارف الضحل.

وفي يوم جمعة كنت مستلقيا على سريري في الجحر الكائن في نهاية المدرسة، وإذا بي اسمع صهيل الخيل، ووقع سنابكها خارج المدرسة، وفجأة دخل على المختار مطلق السعودي وقال "يا أستاذ يا أستاذ، قلت (ما الخبر؟) قال "الباشا الإنكليزي يريد سكن المدرسة". فقفزت من السرير لأجمع الأوراق والكناسة التي كانت تملأ ارض الغرفة لان الطلاب لم يحضروا في يوم الجمعة لينظفوها، وأمسكت بمكنسة شامية، ذات عصا طويلة وجعلت انظف الغرفة في استقبال الضيوف، وفيما أنا منهمك في عملي، وإذا برجل إنكليزي عملاق يدخل على الغرفة، يضرب الأرض بقدميه ليجلب لهما الدفء، وذلك إن عاصفة هوجاء هبت على خيامهم في الضحل، فاقتلعتها من فوق رؤوسهم، فركبوا خيولهم، وهبوا مسرعين يبحثون عن مأوى، فلم يجدوا في القرية مكانا يصلح لإيواء الباشا غير سقيفة المدرسة.

دخل الباشا يرتجف من شدة البرد، ويذرع الغرفة ذهابا وجيئة، وأنا لا التفت إليه لأني منهمك في تنظيف السقيفة، لتكون لائقة بقدوم الباشا، وسمعته أثناء ذلك ينادي بالإنكليزية على علي "اعمل شايا"، وعلي هذا هو طباخه الجركسي، وكان إبريقي الشاي يغلي فوق الموقد. فأجبته "يا باشا ها هو الشاي جاهز فوق الموقد". فقال " أنا لا اشرب من شاي العرب" فقلت "أنت الآن ضيف علي فيجب عليك ان تشرب من شرابي وتأكل من طعامي" فقال كلا. فقلت "إذا رفضت ذلك فيجب عليك ان تخرج من بيتي". قال ومن الذي يستطيع إخراجي؟ قلت الحكومة، فقهقه وقال أنا الحكومة. قلت - إذا كنت أنت الحكومة فيجب عليك ان تعرف القانون ولا تنزل في بيت شخص بالقوة. فما كدت انهي كلامي حتى رأيته يهوي على ظهري بعصا كانت بيده وعندها جن جنوني فأمسكت بعصا مكنستي الطويلة وانهلت عليه صفعا بالمكنسة لا

أبالي أين تقع الصفعة على وجهة أم على رأسه أم على قفاه، فلما أحس بشدة الضربات وقد أخذته الدهشة، وأذهلته المباغتة فر من أمامي وجعل يهرول داخل السقيفة وأنا ألاحقه بالضربات ولما كان يلبس حذاء من أحذية الجيش، وارض السقيفة ممدودة بالأسمنت، زلت قدمه فسقط على الأرض فقلت في نفسي "ان جزاء ضربة بالمكنسة كجزاء مائة ضربة، فاشف غليلك من هذا العاتي"، والغريب ان الجنود الذين كانوا يرافقونه في رحلته، قد وقفوا يتفرجون عليه ونظرات الشماتة تملأ عيونهم ولم يتقدم لتخليصه من بين يدي إلا مأمور زراعة الطفيلة السوري الجنسية واسمه لطفي سعيد.

جلست بعد المعركة على سريري في ركني من السقيفة وجلس هو في ركن أخر مع طباخه علي وأعلنت الهدنة بيننا.

أراد أن يشتري طعاما له ولجنوده فمنعت أي إنسان من القرية الاتصال به إلا بواسطتي وكان لطفي سعيد الرسول بيننا طلب ان يشتري بيضا وكانت كل عشر بيضات بقرش، فقلت له كل بيضة بقرشين فقال هذا غال قلت ولكن هذه أسعارنا، فأضطر إلى المشترى وهكذا بعته من تاجر القرية كل شيء بمثل هذه النسبة من الغلاء. اقبل الليل فاخرج كيسا طويلا اندس فيه، وربط عليه بابه، ونام تحت النافذة الغربية الوحيدة في سقيفة المدرسة، التي كانت العاصفة قد كسرت زجاجها فأغلقتها بسبورة المدرسة.

استغرق في النوم، وسمعت شخيره فقمت إلى النافذة، انزع السبورة عنها، فلما رفعتها انطلقت الرياح إلى داخل الغرفة تزمجر هائجة مجنونة فنهض واقفا من كيسه مذعورا، وقال (من هذا؟) قلت (أنا) قال (ولماذا نزعت السبورة عن النافذة؟) قلت (لأني أريد أن اكتب عليها درس الطلاب) قال (او

كتابة بالليل؟) قلت (نعم) وما شأنك أنت بي؟ واقسم [أني كنت أريد أن أجد سببا في هذا الليل لاقتله لكثرة ما أوجد الإنكليز في نفوس الشباب من أبناء فلسطين من الحقد والمرارة، حيث جلبوا لنا الأجانب من سائر أنحاء العالم، وسلموهم جميع وظائف الحكومة، أما نحن الشباب العرب فكان جوابهم لنا دوما حين نطلب وظيفة. يؤسفنا انه لا يوجد لدينا عمل يليق بكم" وتقبلوا فائق الاحترام.

خادمكم المطيع (فلان)]

فأنهض العشي علي الجركسي ومأمور الزراعة لطفي سعيد، واخرج من حقيبته قطعة من قماش الخيام وثبتوها حول النافذة بالمسامير وعاد إلى كيسه ونام. وكنت بين الفينة والفينة البس قبقاب الصلاة أضرب به الأرض فيحدث فرقعة على الأرض يهب بعدها كالمجنون من نومه ويصيح (من هذا) فأقول له (أنا نم) فيعود مرة ثانية إلى كيسه ويندس فيه وهكذا إلى الصباح.

وفي الصباح بدأ الطلاب يتوافدون على المدرسة، والعاصفة لا تزال تتصارع مع الأرض، فجمعت الطلاب في ناحية بعيدة حتى اكتمل عددهم فأعطيتهم الأمر بأن يحيطوا بالمدرسة من كل جانب، وعندما يرونني أغادر القرية إلى الطفيلة، فلينهالوا على من فيها بالحجارة حتى يغادروا المدرسة.

ذهبت إلى هورسفيلدو قلت له اليوم السبت والطلاب جاءوا للمدرسة، ولا أستطيع ان اعطل الدراسة، فتفضل واخرج من المدرسة. فقال (ألا ترى العاصفة وأين ترانا نذهب؟) قلت له (أنت حر اذهب أينما تريد أما أنا فلا أستطيع تعطيل الدراسة) قال (لا لن أغادر المدرسة طالما والحالة كما هي).

ركبت حصاني الهجام واتجهت نحو الطفيلة اقدم شكاية عليه إلى القائممقام نجيب الحمود وما كدت ابتعد قليلا عن القرية حتى نشبت المعركة بين الطلاب وبين هورسفيلد وجنوده، وكان النصر للطلاب الذين أجبروهم على الجلاء عن المدرسة. وصلت إلى الطفيلة وخبرت القائممقام بأن هورسفيلد قد اغتصب المدرسة، وها أنا قادم إليه لأخبره فقال نجيب الحمود أنني لم أر إنسانا اسفل ولا أحط من هذا الإنسان يعني هورسفيلد. تصور أنني ذهبت إليه في موضع المكافحة فصنع لي مختار العشيرة حفلة غذاء ودعاه المختار ليأكل في معيتي فلما استقر على الفراش منعني ان آكل معه، قلت له وماذا فعلت؟ قال (لا شيء) هذا إنكليزي يا أستاذ.

وبعد ساعة من الزمن وصل هورسفيلد وجنوده إلى الطفيلة وقدم شكاية علي واخبر المستر كركبرايد المعتمد البريطاني في عمان وهول له الأمر وفي اليوم التالي أحضرت للتحقيق وسألني مندوب المعتمد (الست عربيا؟) قلت (بلى) قال (أليس من واجبك ان تكرم ضيفك؟) قلت وهذا هو الذي فعلته، سله ألم أقدم إليه الشاي وعرضت عليه الطعام فقال أنا لا آكل من أكل العرب؟ فسأله المندوب هل حقيقة ما قاله ؟ فأجاب نعم. ولكني لست مجبورا أن آكل من طعامه او اشرب من شرابه (فقال المندوب) وإذا كان لا يريد أن يشرب أو يأكل فهل ترغمه على ذلك بضربه بالمكنسة؟. قلت أني لم أضربه بالمكنسة وكل ما في الأمر أنني حين دخوله المدرسة، كنت أقوم بتنظيفها فابتدرني هو يضربني على أكتافي بعصاه، فرفعت المكنسة التي كانت بيدي اتقي بها ضرباته فأصابته للمكنسة عرضا. قال (ولماذا حرضت الطلاب على ضربه وقذفه بالحجارة وطرده من المدرسة؟ (قلت انه لا علم لي بما حدث بينه وبين الطلاب لقد غادرت القرية منذ الصباح الباكر عندما

رفض هورسفيلد مغادرة المدرسة وها هو القائممقام شاهد أنني جئت إليه منذ الصباح فشهد القائممقام في صالحي.

عدت إلى المدرسة فأرسل التحقيق إلى إدارة المعارف التي كانت تسكن بيتا مكونا من ثلاث غرف واحدة لمدير المعارف أديب وهبه وواحدة لمفتش المعارف محمد الشريقي وأخرى مكتب لكاتب واحد اذكر انه كان منير الرفاعي شقيق سمير الرفاعي وحضر المفتش محمد الشريقي بعد ظهر يوم الخميس فلم يجدني لأني كنت انتهز هذه الفرصة للتنزه بين العشائر. فدعاه لضيافته في شقة في الخلاء سالم الرفوع، فنام الشريقي في الشق ليلتي الجمعة والسبت، ولما جئت في صباح السبت للمدرسة، وجدته أمامي في المدرسة والحنق يكاد يخنقه. فقال أين كنت يا أستاذ؟ قلت أقضي عطلتي الأسبوعية خارج هذه السقيفة، فقص علي كيف انه لم يذق طعم النوم في الليلتين السابقتين لأن تيوس الغنم كانت تطارد إناثها فلم تترك له دقيقة ينام فيها، وكانت عيناه محمرتين، والدم يكاد ينفر منهما والغضب يقطر من جبينه، وبعد أن فتش على الطلاب في جميع المواضيع، تناولنا طعام الغذاء، وبدأ التحقيق في قضية هورسفيلد وقلت في نفسي هذه نهايتي، وحزمت فرشتي وغطائي في حرام ووضعتها بباب المدرسة استعدادا للرحيل.

قال محمد الشريقي ما القصة التي حدثت بينك وبين المستر هورسفيلد؟ وأعدت له الرواية التي قلتها لمندوب المعتمد، فقال دعك من هذا، انه قد وقع على الأرض من شدة الضرب، هكذا قد ورد في شهادة الشهود وظللت أحاوره في الأمر فلما رأيته يرفض الاقتناع بوجهة نظري قلت له. (لقد صفعته بهذه المكنسة التي تراها أمامك ما يزيد على أربع وعشرين

ضربة، وانظر إلى تلك الحزمة أنها فراشي فسأضعها علـــى ظـــهر الـــهجام وأعود إلى بلادي) فقبض الشريقي على يدي اليمنى وشد عليها وقال (ســلمت يمينك) وعاد إلى عمان فجاءني كتاب يقول فيه (أرجو أن لا تعــودوا لمثلـــها مرة ثانية) قلت (فان عدتم عدنا). وكان أينما يذهب في زيارة للمدارس يروي للمعلمين قصتي مع هورسفيلد ويثني على عملي.

أنا عقله ولد دبور الرصاعي

بعد انتصاري في معركة هورسفيلد جعل سكان القرية يحبونني ويقدرونني وأصبحت كأني واحد منهم غير ان الأحداث لم تبق سائرة على ما يرام. فانه عندما برعمت الأزهار وتحسن الجو كنت اخرج بطلابي خارج القرية أدرسهم على الطبيعة فوق الأرض المكسوة بالأزهار الطبيعية والأعشاب الخضراء ذلك لان سقيفة المدرسة لا تدخلها الشمس. وبينما أنا ذات مرة ادرس القرآن بقرب الطريق العام في مدخل وإذا بفارس يمتطي صهوة جواد كأنه القلعة وعليه شاب فارع الطول ووجهة يكاد الشرر يخرج من جبينه وقال (يا خطيب) أي أستاذ، قلت نعم، قال (حمده بنت عمي ما هي راضية تتزوجني) قلت: "وما دخلي أنا بالموضوع"؟ قال "اعمل لي عمل!" قلت: (أني لا اعرف مثل هذا العمل) قال (كيف تكون خطيبا تعلم "الضعوف" أي الأولاد ولا تعرف ان تعمل حجابا ساحرا (قلت أنني لم أتعلم في المدرسة مثل هذا العمل، وابحث لك عن شخص آخر غيري. قال (أنت لا تعرف من أنا؟) قلت (كلا لا اعرف من أنت) (قال أنا عقله ولد دبور الرصاعي) وضرب يده على سيفه واستله إلى النصف وقال (وحياة رأسي لئن لم تعمل الحجاب لأقطع رأسك بهذا السيف) ورأيت الجد في عينيه وعلمت أني لو عارضته فانه قاتلي لا محالة، فقلت أمهلني لأعمله خلال اسبوع، وكنت أريد أن أتدبر الأمر فانه لو قتلني في ذلك الوقت فلن يجد من يسأله عما فعل.

بقيت طيلة الأسبوع ارقب اليوم الموعود، وكلما تصورته على جـواده بوجهه المكفر ارتعدت فرائصي، وقلت دنت منيتي فلما حان اليوم الموعــود قلت في نفسي لأصنع له معجزة لا يقدر على القيام بها فأتخلص منه. واقبــل إلى المكان الاول، ووقف في نفس موضعه، وقال (أين الحجاب)؟ قلت قبل أن اعمل الحجاب عليك أن تحضر عشرين شعره من شعر حمده لأعمل عليـــها الحجاب، وقلت طبعا طالما أنها تكرهه فلن يجد وسيلة يجلب بها خصلة مـــن شعرها، وبذلك أتخلص من البلاء وظللت طيلة الأسبوع أدعو الله أن لا يوفـق في جلب الشعرات، إلا انه في الموعد المحدد وقف وقفته واخرج من جيبـــه خصلة الشعر وقال (هاك الشعرات التي طلبتها، فتناولتها منه بقلب حزين ويد مرتجفة وقلت (لقد قربت منيتك يا عمر) وقلت له: "تعود في الأسبوع القـــادم إن شاء الله". ومر الأسبوع علي وكأنه دهر وكلما قرب الموعد كلما أظلمــت الدنيا في وجهي وفي مساء اليوم الذي سيأتي في صباحه عقله كان شـــبحه لا يفارق مخيلتي، وسيفه يثير الرعب، في نفسي، "مـــاذا افعـــل"؟ هـــل اتـــرك المدرسة! وافر وكنت لا أنفك عن الدعاء (اللهم اجعل لنا مـــن كـــل ضيـــق مخرجا).

كنا نستعمل السكر في ذلك الوقت قطعا كعرض الإصبعيـــن وكنـــت اصلح دفاتر إملاء الطلاب بالحبر الأحمر، وتناولت قطعة من السكر وإذا هما قطعتان متصلتان والحاجة أم الاختراع، فخطر لي خاطر قلت لعلي أتخلـــص به من هذه المحنة.

تناولت قطعة السكر الكبيرة وثقبتها من أعلاها بمسمار إلى منتصفـها، ثم جئت بقلم التصحيح وجعلت اغمسه في الحبر الأحمر واضع نقطة نقطـــة داخل الثقب في قطعة السكر، ثم جئت بفتات السكر الناعم واعدته في الثقـــب

وأغلقته. ثم جئت بسبع ورقات كتبت فيها بعض المعادلات الجبرية ووضعت في كل ورقة شعرة ولففتها بخيط وأعددت نفسي للمعركة الفاصلة مع الشيخ عقلة ولد دبور الرصاعي، وفي الوقت المعين اقبل كعادته فقلت له تفضل، فقال "لا أستطيع ثم أردف هات الحجاب "فقلت" انزل لأفهمك ماذا تفعل فنزل مكرها متأففا فقلت له "إليك بالتعليمات تأخذ هذه السبع ورقات تحرق في كل ليلة ورقة فوق رأسها بعد ان تنام لمدة أسبوع" وكنت اهدف من ذلك ان يقتله أهل حمده وهو يقوم بهذه العملية فاستريح منه. ثم قلت "وهذه القطعة من السكر تجلس بجانب حمده وتقول لها لقد ذهبت لأعظم خطيب في الدنيا فاستخدم الجن ليجلب لك محبتي"، ثم قلت له "تضع قطعة السكر في الماء وتذيبها فإذا انقلب لون الماء احمر فان الجن يكون قد نقل دم قلبها إلى الكوب ولا بد أن تحبك" وكنت اقصد من ذلك الإيحاء لها. "وإذا بقي الماء ابيض كما هو فان الجن يكون قد عجز عن تغيير قلبها وحينئذ لا حيلة لي في أمرك". فقال "لا ما في فكة عن رقبتك"، ثم ركب جواده وقد بدت على وجهه أسارير الفرح والسرور فقلت تدافع الأيام أسبوعا وراء أسبوع حتى تحين العطلة الصيفية وافر بجلدي. وكنت قد وضعت بقية خصلة الشعر في مغلف فسهوت عنها ووضعت في ذلك المغلف رسالة رسمية فجاءني من أديب وهبة "ما هذه الخصلة من الشعر في رسالتك"؟ وأديب وهبة مدير المعارف جامد متزمت، لم أره طيلة حياتي مبتسما، فذهلت لهذه الرسالة، وظللت ثلاث ليال أفكر في أمرها لأنني نسيت... خصلة شعر عقلة الرصاعي، وأخيرا فتح الله علي وتذكرت، فأجبت على رسالة مدير المعارف (إن هذه الخصلة من الشعر هي من شعر أختي أهدتني إياها لأظل اتذكرها، حفظتها في هذا المغلف وسهوت عنها).

مضى شهر من الزمان لم ار فيه وجه عقلة فقلت الحمد لله الذي صرف عني الضر.

وفي يوم من أيام الجمع حل غلي ضيوف من موظفي الطفيلة منهم القائممقام نجيب الحمود وقائد المقاطعة عبد الهادي العرب من برج البراجنة في بيروت وقاضي الصلح عبد الرحمن الرشيدات وطبيب الصحة الدكتور الساطي وفيما أنا أضع المنسف أمام الضيوف وإذا بفارس ملثم مقبل من بعيد يضع أمامه خروفا سمينا فلما وصل رد السلام ونزل عن الجواد، وانزل الخروف ثم ربط الجواد ورفع اللثام عن وجهه، فإذا به عقله، ولكني لم أخف منه هذه المرة لان حكومة الطفيلة كلها كانت عندي ثم دعوته للطعام فتقدم وأكل، وبعد أن شرب القهوة ادخل يده إلى جيبه فأخرج منها أربع جنيهات عثمانية ذهبا ومدها الي وقال "أشكرك يا خطيب لقد نجح الحجاب وتزوجت حمدة" ثم عمد إلى جواده وركبه وانصرف وكان الضيوف ينظرون إليه والي وهم مبهوتون مما يرون. فلما انصرف قصصت عليهم القصة فضحكوا حتى استلقوا على ظهورهم، وأبقيتهم إلى المساء وذبحت خروف عقله عشاء لهم فتعشوا وانصرفوا وأنا لا أزال اسبح واحمد الله الذي نجاني من هذا البلاء.

ضابط مزيف في وادي عربه

ＣＳ✿ＳＯ✿ＣＳ

في نهاية السنة المدرسية علمت أن قافلة من أهالي بصيره ستذهب إلى فلسطين عن طريق وادي عربة فقررت حبا في الاستطلاع مرافقتهم فاستأجرت بغلا وضعت عليه فراشي وهدية من السمن واللبن الذي قل ان يماثله سمن ولبن لجودة هواء المنطقة وحسن المراعي فيها، وكان أهالي بصيرة يأخذون منتوجاتهم من المواشي وينقلونها إلى فلسطين عن طريق وادي عربه.

وفي الصباح الباكر تحركت القافلة، فركبت حصاني الهجام، وتحركنا من قرية بصيرة حتى وصلنا إلى غابة الضحل، واغلب أشجار هذه الغابة هي من أشجار اللزاب، التي تعلو وتتشابك حتى لا يستطاع المرور من بينها والسير فيها إلا ببطء شديد لوعورة المسالك وتتشابك الأشجار، ويتخذ أهل هذه المنطقة أخشاب اللزاب لسقف بيوتهم وللتدفئة، وكانت طريقة التدفئة في ذلك الوقت أن يقتطع الشخص ساق شجرة ضخم. يلقيه في النار التي تبقى مشتعلة طيلة فصل الشتاء، وكلما انتهى ساق جاء بساق غيره، وكنت لا تجد ثوبا أو حطة من ملابس "السعوديين" وهو الاسم الذي يعرف به سكان بصيره، إلا وفيه مائة ثقب وثقب، ذلك ان طبيعة شجر اللزاب انه طيلة مدة إيقاده لا ينفك يتطاير منه الشرر فيقع على ملابسهم ويملؤها اللزاب بالثقوب.

بدأنا نسير ببطء في الضحل بانحدار تدريجي نحو وادي عربة إلى أن قاربت الشمس من المغيب.

وعند انتهاء المنحدر واتصاله بسهل وادي عربة تتغير الأرض وتتغير النباتات، وتصبح معظم الأشجار من شجيرات الدفله وهي شجيرة قصيرة، ذات أزهار بلا رائحة، حطت القافلة للنوم، ولكن أنى للإنسان أن ينام والشمس يغطيها عن الأرض أسراب البعوض، فرشت فراشي وأقمت من أعواد الدفله حاجزا كالغرفة الصغيرة كسوته بأغطية السرير، ولكن دون جدوى فقد كان يتسلل من كل مكان ولم يغمض لي جفن في تلك الليلة.

وفي الصباح الباكر تحركت القافلة، وسرنا في وادي عربه الذي أخذت تشتد حرارته كلما ارتفعت الشمس قليلا قليلا وما انتصف النهار حتى نفذ جميع الماء الذي تحمله القافلة، وأنا الوحيد الذي بقيت معه قربة ماء لان نصف حمولة البغل الذي استأجرته كانت من الماء، لأنهم كانوا قد وصفوا لي شدة حاجة المسافر للماء، ولما اشتد بهم الظمأ، طلبوا مني أن يشربوا من القربة التي احتفظ بها، بدأت اقسم الماء بينهم في كوب الشاي.

وكنا نشاهد الماء من بعيد، ونقترب منه فإذا هو كسلاسل الفضة صفاء، يسيل في وادي عربة، ويغب فيه الحصان من العطش ولكنه لم يكد يتذوقه حتى يعافه، ويرفع رأسه مبتعدا عنه بتجهم، وانزل عن الحصان فأضع في يدي قليلا منه أتذوقه، فإذا هو اشد مرارة من العلقم، اقرب ما يكون طعما لمذاقه هي مياه البحر الميت، ان لم تفقها غضاضه، وهكذا جميع المياه السائلة في وادي عربة. رأيت أكواما صغيرة من الحجارة متناثرة هنا وهناك فسألت الدليل عن سببها فقال هذه علامات على مصارع رجال في هذه الأمكنة

صرعتهم حيات وادي عربة قلت "وهل تختلف حيات وادي عربة عن غيرها"؟ قال "نعم فان من تقرصه هذه الحيات لن تكتب له بعدها السلامة، وخصوصا حية النشاب" وسألته لم سموها بهذا الأسم؟ قال "ذلك لأن الحية من هذا النوع تستطيع ان تنطلق من هذا الجبل إلى الجبل المقابل في الهواء كالنشاب".

وما زلنا نسير من واد صغير إلى منفسح حتى وصلنا إلى ارض كأنها الدو الواسع، ولو دحرجت فوقها عجلة لبقيت تتدحرج طولا وعرضا لم تجد ما يعترضها إلا من بعض الحجارة السوداء، وتربتها كأنها رماد موقد وعشبها نحيل ضئيل، وسألتهم عن اسم هذا السهل الفسيح فقيل لي انه سطح الامعز فجعلوا كلما سرنا بضع خطوات، أشاروا إلى كومة صغيرة من الحجارة، ويقولون في هذا الموضع مقتل العزامي، وفي ذاك الموضع مقتل اليطاوي، وهذا مقتل فلان وهذا مقتل علان، حتى لقد وقف شعر رأسي من رهبة المكان. لقد اتخذ قطاع الطرق من هذه الطريق مكانا وميدانا، لفتكهم بالأبرياء، وسلبهم أموالهم، ولما قاربنا إلى نهاية سطح الأمعز، تشاور رجال القافلة بين المبيت هنا، أو الاستمرار في السير وعارضت أنا في المبيت، ولكنهم رفضوا المسير، وأناخت القافلة، ورفضت المبيت وطلبت من أحد المسافرين مرافقتي ليدلني على الطريق مقابل نصف دينار، تقدم لهذه المهمة شاب يسمى حمدا كانت يده اليمنى شلاء وسار معي.

النغار

ঙঙঙঙ

انتهى بنا سطح الأمعز إلى أخدود طباشيري، يبلغ ارتفاعه على الجانبين في بعض الأمكنة إلى ما يزيد عن مائة متر وليس له إلا مدخل واحد في نهاية سطح الامعز ومخرج في نهايته، في وادي عربة جنوبي البحر الميت، لقد نبهني الدليل عندما دخلنا أخدود النخبار إلى ان هذا المكان هو المكان المفضل لقطاع الطرق للانقضاض على ضحاياهم، بدأت أعصابي تتوتر، وعندما صرنا في منتصف أخدود النخبار، خرج علينا بدوي على ظهر ذلول، وبندقيته أمامه، وكان مسدسي بيدي فأشهرته في وجهه، وقلت له (إذا حركت ساكنا فإني قاتلك لا محالة) وقلت لرفيقي حمد "تقدم وخذ البندقية منه أما أنت فلا تحرك يدك"، وكنت البس بزة عسكرية مزيفة احتمي بها في الطريق من هؤلاء الاشرار، ثم اخرجت صفارة الرياضة، ونفخت فيها وقلت للبدوي "سيلحق بي على الفور جنودي، هيا وسر أمامي، وإذا تعرض لي أي إنسان في هذا الطريق، فإني سأقتلك أولا وليفعل الله بعد ذلك ما يشاء"، فامتثل صاحبنا وسار أمامي، ومسدسي مشهر ومصوب إلى ظهره وبعد أن سرنا قليلا سمعنا صوتا آتيا من الجهة الشرقية من أعلى حافة النخبار ونظرت إلى مصدر الصوت فإذا إنسان يجلس على حافة صخرة كالقنفذ يصوب إلينا بندقيته، وقال في صياحه، هنو، فرد عليه صاحبنا راكب الذلول، ان "لا تأتوا بأي عمل وإلا قتلت"، وكان من طبيعة عملهم ان يرسلوا راكب الذلول، يجوب أخدود النخبار، ويبقى رفاقه على حواف الأخدود يهددون المارة، فإذا

امتنع مسافر عن ترك ملابسه وحمولته قتله المختبئون في أعـــالي الأخـــدود وتقدم منه راكب الذلول وسلبه، ولا يستطيع القناص الرابـــض فـــي أعلـــى الأخدود ان يدخل الأخدود إلا من مدخله في سطح الامعز أو مخرجــه مــن جنوب البحر الميت، ويحتاج ذلك إلى نصف نهار، ولهذا رسموا هذه الخطـــة وأطلقوا ركاب الذلول ليجمع لهم السلب ويلقاهم عند مدخل الأخدود.

امتثل القناصة لرفيقهم، ولم يطلقوا علينا النار، وبقي صاحب الذلـــول يسير أمامنا حتى خرجنا من النخبار مع غروب الشمس. فقال صاحب الذلـول "هات بندقيتي وأطلق سبيلي"، فقلت "ومن يحميني من غدرك بعــد أن تتسـلم البندقية؟ عليك أن تبقى ثابتا في مكانك هذا، حتى اصل إلى موضـــع كومـــة الحجارة ذاك"، وأشرت إلى مكان يبعد عنا قرابة الكيلومتر، وقلت له "سـأضع بندقيتك في ذلك الموضع، وإذا خطوت خطوة واحدة من مكانك فإني ســآخذ البندقية"، وكنت اقصد بذلك اتقاء شره، لان أمثال هذا البدوي يصيب الـــهدف من مسافة بعيدة. تسمر الرجل في مكانه كما أشرت اليه، فلما وصلــت إلـــى الكومة التي اتفقنا عليها وضعت له البندقية بعد أن أفرغها حمد من الذخـــيرة. وأشرت إلى البدوي فتبعنا إلى بندقيته.

نقب الزويرة

ما بين نهاية النخبار الى بدء نقب الزويرة والى الجنوب قليلا من البحر الميت، يمتد الوادي الذي تجري فيه المياه المنحدرة من سفوح الجبال من الجهة الغربية، وقد امتلأ الوادي بالأخاديد والصخور التي تدحرجها السيول من أعالي الجبال.

بدأنا نصعد نقب الزويرة، والنقب منحدر من الجبال العالية نحو الوادي وعر المسالك، صعب الدروب بعيد المسافة.

وبعد تصعيد قليل في نقب الزويرة، أرخى الظلام ستوره فلم اعد أتبين ما حولي وكان الذي كنت اشعر به كبوات الهجام... فهو لا يكاد ينهض من كبوة حتى ينزلق في اخرى، وجو رهيب صامت، كأنك تسير على أنقاض مدينة دمرتها الزلازل أو أنقاض قرية اثر غارة جوية. ولا يحرك هذا الصمت إلا وقع حوافر الهجام على صخور الردم فتتجاوب أصداؤها في الوادي وانعقد لساني ولسان حمد الأكتع دليلي.

وبعد مسيرة ثلاث ساعات اهتزت جنبات الوادي بالأصوات وسمع تدحرج الحجارة هنا وهناك، قلت لحمد ما هذا؟ قال هذا ماء الزويرة حيث يقيم الصعاليك هنا على الماء، ينقضون على فرائسهم، وغالبا ما يكون هؤلاء الصعاليك من فلسطين، أما من الناحية الأخرى فمن الأردن.

قلت: يا حمد "لقد دنت المنية فماذا نفعل"؟ قال: "ترجل عن حصانك لئلا تصيبك رصاصة طائشة"، فترجلت وجعلنا نسير رويدا رويدا وكنت أتمنى لو كان معي لفافة أغطي بها سنابك الجواد حتى لا يصدر عنها صوت ينبيء عن موضعنا وتتابعت النداءات - مين - مين، فأخرجت مسدسي وأطلقت طلقة في الهواء استحمي واستأنس بصداها واتبعتها بصفير متتابع من صفارة الرياضة ثم أشعلت المصباح وقلت: "حكومة، حكومة".

كانت الأصوات التي سمعناها والضوضاء التي ملأت الوادي والتي حسبناها لصعاليك الطرق، كانت أصوات قافلة لتجار من الخليل. يرأسها طلال زاهدة، حسبونا من صعاليك الطريق كما حسبناهم، فلما سمعوا سيرنا في الطريق تسلقوا الشعاب، تاركين القافلة طلبا للنجاة بأرواحهم وأعادت لهم روعهم كلمة حكومة وضوء المصباح، فتراجعوا إلى الماء، والتقينا بهم، فنظر في وجهي طلال زاهدة قائلا: "الله يقطع دابرك ياهل حلحولي، موتتنا من الخوف".

لقد أخبرناهم بما ينتظرهم في الطريق ونصحناهم بأن لا يقطعوا الوادي في هذا اليوم استرحنا ساعة وتزودنا بالماء، وتابعنا سيرنا، ومع بزوغ الفجر كنا عند أول نقطة لبوليس الهجانة الفلسطيني في الكرنب... الحمد لله لقد انتهينا من الصعود وبدأت الأرض تستوي وجعلنا نرى الحصادين من البدو وعادت الطمأنينة إلى نفوسنا. وعند الظهر كنا عند آبار الملح حيث يصطف الواردون على باب البئر يدلون بدلائهم فتحققت لدي الصورة الخيالية التي كانت مرتسمة في مخيلتي - كأنها اشطان بئر في لبان الأدهم.

* * *

أخذنا قسطا قليلا من الراحة والماء وتابعنا سفرنا إلى موضع (كسيفة) حيث نمنا هناك تلك الليلة، وفي الغد وصلنا إلى الخليل. وبعد يومين وصلت القافلة وقد قتل منهم أربعة شباب من (بصيرة) قتلهم اللصوص فقد اخبروني عن الصورة التي قتلوهم بها...

لقد جمعوهم في ساحة واحدة وكان من بين رجال القافلة أربعون شابا جاءوا للعمل في فلسطين كنت اسمعهم في الطريق يتغنون بالأناشيد... حفظت مطلع واحدة منها:-

عفلسطين عفلسطين والغظي غرب عفلسطين.. ومعناها إلى فلسطين إلى فلسطين لان الحبيب اتجه نحو الغرب إلى فلسطين.

لقد جمع اللصوص جميع رجال القافلة في ساحة واسعة ورتبوهم على شكل دائرة ثم أمروهم ان يتقدموا واحدا واحدا، وأن ينتزعوا ملابسهم ويعودوا إلى أماكنهم.

وبعد أن تركوهم على هذا الحال، تقدموا من الملابس ليحملوها، وكان عددهم اثنين فقط صغيري الحجم كالصراصير، احتقرهما شباب بصيره وخجلوا من أنفسهم... كيف يستطيع هذان الحقيران أن يفعلا بهم هذا على كثرتهم، فهجموا عليهما بالحجارة، غير ان أحدهما أطلق النار على أربعة من المتقدمين فأرداهم قتلى وتراجع الباقون.

عاد قسم من القافلة بالقتلى وتابع السير قسم آخر، فوصلوا الخليل.... واستقبلناهم في بيت أخي أبي شريف وقد استأجرنا لهم أربعين فراشا من فندق الشلالة.

الحظ العاثر

ᏣᏕᏜᏕᏜᏣ

أعدت الحصان - هجام - مع القوافل العائدة قبل نهاية العطلة الصيفية بعشرة أيام، لأنني قررت العودة بالسيارة بعد الأهوال التي عانيتها في وادي عربة...

ولما عدت إلى - بصيرة - وجدت الشخص الذي أمنته على الحصان قد ربطه زيادة منه في الأمانة والحرص، بالقيد عشرة أيام بكاملها يطعمه ويسقيه في مكانه، فلما دنوت منه وجدته كالمجنون، يريد أن ينهش كل من يقترب منه، فعالجته حتى قرطته اللجام، وأسرجته ثم ركبته وتوجهت إلى عين بصيرة التي تبعد عن البلدة أربعة كيلومترات، وهي تنبع من صخرة صماء في بطن جبل أشم، وماؤها عذب سلسبيل.

أسقيت الحصان وغسلته ثم ركبته، ولم اخط به غير بضع خطوات حتى انطلق كالمجنون، يجمح فوق الصخور ويقفز فوق الحواجز... حاولت كبح جماحه، وجذبت عنانه بكل ما لدي من قوة، ولكنه كظ على اللجام وجذبني إلى الأمام، حتى كدت أقع على معرفته.

ولما أعيتني فيه الحيل ورأيتني طائرا بين السماء والارض، وتملكني الخوف من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن - يتقنطر - الحصان، أي يقع على أم رأسه من فوق صخرة فتدق عنقي وعنقه معا.

والناحية الثانية: أن يعترضني في الطريق شخص أو اشخاص، فيقتلون فأحتمل دماءهم فجذبت العنان بكلتا يدي، وجعلت أصيح بأعلى صوتي للناس: - ابتعدوا الحصان نايز، ابتعدوا الحصان نايز. - أي عاصي، وجعل الناس يبتعدون من طريقي حتى دخل أزقة البلد الضيقة وأنا لا انفك في صياحي.

وإذا بشيخ في الثمانين يزحف على أتانه لم يبلغه صوتي لثقل في أذنيه أو لعله بلغه صوتي فلم يجد له مندحرا عن قضائه لهزال اتانه ولضيق طريقه وفي طرفة عين رأيت الشيخ واتانه يرتفعان في الجو ويرتطمان بالأرض، كل واحد في جهة، وحالا وقف هجام فأسرعت إلى الشيخ أحس نبضه، وإذا بي لا أحس له نبضا فتجمع الناس وأسرع نحوي الحاج سلامة العريني. وقال: - انج بنفسك، قبل أن تقتل في فورة الدم.... فأسرعت إلى المدرسة قبل ان يتجمع أهل الشيخ فيبطشون بي.

أغلقت الباب وانزويت في ركن السقيفة، وبعد آذان العشاء سمعت وقع الأقدام وهمسات الكلام، فقلت قرب اجلي... فقمت وتوضأت وصليت العشاء ودعوت الله ان ينجيني من التهلكة.

وما انتهيت من الصلاة والدعاء، حتى سمعت أحد شبان القرية بشير محمد الرفوع يناديني: يا أستاذ لا تخف نحن عشرة من شبان العشائر جئنا لنحميك وندافع عنك فأنت طنيبنا.

دخل علي بشير وقال: هدىء روعك، حتى ولو مات الشيخ فليس له دية غير الحصان... وقد أرسلت أمي إلى بيت الشيخ لترقب الحالة.

وبعد منتصف الليل جاءت أم بشير ونادت ولدها:

- بشريا ولدي صاحبك، فان الشيخ قد أفاق من إغمائه وهو بخير......

وفي الصباح فرج الكرب ومكث الشيخ ست عشرة ليلة مريضا، أقدم إليه الطعام من الحليب والبيض واللحوم، حتى شفي، ثم ذهبت مع مشايخ السعوديين من بصيرة وأخذنا له كسوة كاملة من أخمص قدمه إلى قمة رأسه، وانتهى الأمر بسلام.

التعليم الإلزامي

كان التعليم إلزاميا ولذلك كنا نجلب الطالب الذي يتأخر بواسطة قـوة الدرك، إذ ينزلون على أهل الطالب فيما يسمى بحوالة الفرسان، فيذبحون لـهم الذبائح، ويعلفون خيولهم، علاوة عن الدخان ثم يجلب ولي أمر الطالب إلـى الحاكم الإداري الذي يحكم عليه بغرامة اقلها خمسمائة مل أو يحبس بدلها.

كان من بين الذين وقع عليهم هذا العقاب لتأخره وغيابه مدة أسـبوع عن المدرسة الطالب سعيد بن سعود، وقام بدفع الغرامة عنه ولي أمره أخـوه حرب بن سعود، ولذلك حقد علي اشد الحقد وانتقاما مني خرب بستان جـاره المزروع بالذرة الصفراء، وأخبر جاره أن حصاني هو الذي نزل في البسـتان وخرب زراعة الذرة، وشهد علي في المحكمة أمـام قـاضي الصلـح عبـد الرحمن الرشيدات الذي حكم علي بتـاريخ ٢٨/١٠/٩٣٠ بغرامـة قدرهـا خمسمائة مل مع تضميني نفقات المحاكمة ١٠٠مل ونفقات الكشف جنيه واحد و٩١٠ ملات.

وبذلك انتقم مني حرب بن سعود اشد الانتقام غير أنني استأنفت الحكم وكان عبد الرحمن الرشيدات قد نقل من الطفيلة وحل مكانه فلاح المدادحـة فأعاد المحاكمة وبرأني من التهمة.

شمهروش ملك الجان

في هيشة العطاعطة

꧁꧂

في خريف سنة ١٩٣٠ كنت اجلس بباب سقيفة مدرسة بصيرة بعد الدرس الثاني. وكلي سرور بالقرية وسكانها حيث جعلوا يحترمونني بعد زيارتهم لي في الخليل وحلحول. وحيث عرفوا ان المعلم ليس - سائلا من الدرجة الأولى - وهي الصورة التي أعطاها لهم معلموا الكتاتيب الذين كانوا يتناولون أجرهم أرغفة من الخبز والبيض.

دخل علي شاب وسيم حياني وجلس بقربي، وأخرج من جيبه رسالة ناولني إياها وفتحتها وإذا بها أمر ان أسلم مدرسة بصيرة إلى السيد محمد موسى المعايطة، وأتوجه لتسلم مدرسة وادي موسى.

وقع الخبر علي كالصاعقة لان خروج الإنسان من المعلوم إلى المجهول يخيفه، واستأجرت بغلا وضعت عليه فراشي وركبت الهجام متجها نحو الجنوب إلى وادي موسى.

كل بلد في شرقي الأردن مررت به ينضوى سكانه تحت اسم موحد بفروع عشائر مختلفة... فأهالي الطفيلة يطلق عليهم اسم عام هو - الجوابوة - وأهالي بصيرة يطلق عليهم اسم عام آخر هو - السعوديون - وأهالي ظانا يسمون - العطاعطة - .

مررت في رحلتي بالرشيدية، وهو اسم مكان يقع إلى الجنوب من بصيرة، ثم بقرية ظانا وسكانها يختلفون عن جميع سكان القرى التي عرفتها في عاداتهم وطباعهم، وهي على العموم لا تمت للعرب بصلة وخصوصا الغيرة.

دخلنا هيشة العطاعطة، وسرنا بها يوما بكامله، وهي غابة ملتفة الأشجار، لم أر مثلا لتربتها الحمراء ولا لروائح ازهارها، وضخامة أشجارها، التي حجبت عنا الشمس طيلة اليوم إلا من شعاعات متسللة بين الغصون تظهر كقطع النقود الذهبية وهي كثيرة الشبه بالغابات التي نقرأ عنها في أوروبا وأمريكا الجنوبية، غير ان أحدا لا يعرفها.

غربت الشمس، فانحرفنا إلى فريق من عشائر العطاعطة أقاموا بيوت الشعر بشكل دائري في وسط الغابة الغناء، وكأنهم في حلم من أحلام الجنة، ذهبنا إلى الشق – مكان استقبال الضيوف... هرعوا لاستقبالنا لما رأوا من كياسة الملبس وعدة الحصان. وسارعوا الى يمسكون بعنان الحصان وأنزلوني بكل تجلة واحترام، وصافحوني بحرارة حتى إذا ما مال أحدهم علي رفيقي يسأله من الضيف؟ ويجيبه بأنني خطيب منقول إلى وادي موسى تراخت الأيدي المشدودة، وبهتت اللقاءات الحارة، وقعد الواقف وعاد القادم.

وكنت أسمع همسات الاحتقار... خطيب؟ كل هذه الجلالة على خطيب؟ وبعد أن كان الرجال يحملون الفراش الفاخر. أعادوه إلى بيوتهم. حينما سمعوا إن الضيف خطيب أي معلم، وجاءوا بفراش قذر، القوه في جانب الشق وقالوا: أتفضل.

ألقيت بفراشهم بعيدا، وحللت متاعي وبسطت فراشي وجلست عليـــه. ومن عادتهم ان الضيف المحترم يذبحون له ذبيحة، أما أنا فكان عشائي بيضة وكأسا من اللبن... رفضت العشاء لأنه يعني احتقاري حسب عرفهم.

وجلس قبالتي شيخ القبيلة. يسألني:

لم لم تتعش يا ضيف الرحمن؟ - لأنني تعشيت قبل قدومي

من أي البلاد أنت؟ - من بلاد الله الواسعة

فمن أي القبائل؟ - لست من قبيلة ولا من عشيرة

فما أسمك؟ - عبد من عباد الله

فمن أين أنت قادم؟ - من طرف الهيشة الشمالي

وأين تقصد؟ - طرفها الجنوبي

فما عملك؟ - كما تراني، أرحل في النهار، وأقيم في الليل

فقلب كفية وقال: أرى كلامك واقفا قلت: يجلس حين أنام

وفيما أنا معه في هذا الحوار، أقبلت عجوز وشاب يلطمان، وقـالا: - يا خطيب داخلين عليك - قلت ما الخبر؟ قالت "بنتي؟" قلت "ما خطبها". قـالت "ركبها الجني"، قلت "أنزلوه عنها". قالت "لا نستطيع"، قلت "وأنـا أيضا لا أستطيع". قال الشيخ: "كيف لا تستطيع وأنت خطيب. والخطيب يلقي الجبـل على الجبل"؟

وحينها تذكرت كلام عقله ولد دبور الرصاعي، وأمام التهديد توجـهت إلى المريضة. فوجدتها في غيبوبة تامة وكأنها في عالم الأموات.

دعوت شيخ القبيلة وقلت "أريد خروفا اسود وان لم يكن اسود، فليكن ابيض منقطا بالسواد. ثم احضروا بعد ذلك فلذة من كبده وأخرى من قلبه وقطعا أخرى من سائر جسمه". وعدت إلى متاعي فأحضرت قليلا من الفلفل الأسود وبهارات الطعام والملح، ولقيني زوجها ملهوفا يرجوني أن اعمل المستحيل لإنقاذها.. فمن لقيت؟ لقيت رجلا شوهت وجهه، حفر الجدري وسلخ عينيه مرض التراخوما. أخنف الدغ، فقلت من هنا جاء البلاء.

دخلت على الفتاة فإذا بها ملاك مسجى، بياض لوحته الشمس... وأنف من صنع آلهة الجمال. وفم كالخاتم.. وعنق كعنق الزرافة. وكانوا قد دثروها بأغطية صوفية خوفا عليها من البرد، فكتموا بذلك أنفاسها، رفعت عنها الغطاء لأوصل لها الهواء النقي، أخرجت كل من بالبيت لتبوح لي بمكنون سرها.

أشعلت نارا وضعت عليها الفلفل والملح والبهارات الأخرى، فصدرت فرقعة ودخان وروائح وجعلت اخبط الفراش بالعصا، واقول اخرج يا شمهورش ملك الجن - ثم امسك بأنفي وأجيب بصوت ظنين لا أخرج واكرر الضرب والإجابة ووضعت في كفي قليلا من الكالونيا وفركت انفها، ففتحت عينين نجلاوين تاسران الجن حقيقة. وحملقت في الشخص الغريب الذي يجلس عن رأسها وقالت، أين أنا؟ قلت أنت في مملكة الجن. فارتعدت وقالت من أنت؟

- أنا الخطيب الذي يحكم على ملك الجن، فاستبشرت وتهلل وجهها فرحا، فلما سمعوا صوتها تتكلم من خلف الأورقة مزقوا الستائر وهجموا عليها يقبلونها ويهنئونها بالسلامة.

- اخرجوا وإلا عاد إليها الجني... فخرجوا مسرعين، وجاءوا بعد ذلك بمزع الكبد واللحم. فلوحتها على النار ثم دققتها في الهاون وعصرتها في فنجان قهوة وجعلت اسقيها جرعة جرعة، حتى عاد إليها نشاطها، وحزت على ثقتها. فسألتها متى تصيبك هذه الحالة.؟

قالت: في اللحظة التي يقربني فيها زوجي. قلت وهل تحبينه؟ قالت كيف احبه وهذا اثر قربه، قلت لم تزوجته؟ قالت زوجني أبي طمعا في ماله الوفير. عندها دعوت الزوج وأهله، والزوجة وأهلها وقلت لهم أن ملك الجان يحب هذه الفتاة ويغار عليها من زوجها... هذا...

وقد أبى أن يتخلى عنها إلا إذا طلقها زوجها، هذا وإلا قتلها ملك الجان.

فصاح أهلها: طلقها وخذ مهرك. واقتنع أهل الزوج فطلقها وأخذ مهرها وعدت إلى الشق أي المضافة مرفوع الرأس. وطلبت الخروف وشويته على النار ولم أطعم أحدا منهم جزاء احتقارهم لي في المساء.

بيك باشا

يقول لي "أنت حرامي"

ꕥꕥꕥ

قبل الفجر ارتحلنا من هيشة العطاعطة متوجهين جنوبا نحو وادي موسى. وبعد أن كان يومنا الأول في الغابة في ظل ظليل وماء عليل، انتقلنا فجأة: إلى صحراء شمسها تكوي جباهنا. وبردها في الليل يصلب ظهورنا.

كنت كلما مشيت بضعة كيلو مترات أوقف - الهجام - أنزل سرجه عن ظهره، وأضعه على ظهري لاحتمي بالحرارة التي اكتسبها من ظهر الحصان.

وهكذا قاسيت نهارا أحر من الجمر، وليلا اشد بردا من الصقيع. وفي صحوة اليوم التالي وصلنا إلى ماء نجل من ارض الشوبك، فبسطت فراشي في ظل صخرة بقرب الماء. وقلت لصاحبي:-

(آتنا غذاءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) -

عند الظهر بدأت فرسان الجيش العربي الأردني تتوارد الماء. خيول مطهمة، وأسرجة لامعة وشوارب مقعدة، تصلح أن تجلس. فوقها الصقور، أزرة لامعة، تنبعث منها ومضات مع إشراقة الشمس.

تتدلى على جنوبها سيوف ما لعقت في حياتها دما، غير أنها مرتوية بزيوت السلاح، قلت لجندي مر بقربنا يستقي: ما الخبر؟

قال: غبي أنت ما تعرف ان هذا اليوم استعراض الباشـــا؟ قلــت: أي الباشوات تعني فهم كثيرون؟ قال: ويش هالبلية اللي ما يفهم أنت ما تعـــرف باشتنا؟ قلت: ومن الذي يعرفني بباشتكم؟

قال: هل أنت من هذه البلاد؟ قلت: لا: قال؟: فمن اين إذن؟

قلت: من فلسطين. قال: هم هم غرباوي؟.. وصفرت الصفارة وانتظم الجنـود في صفين متقابلين، وأقبلت سيارة من بعيد يتقدمـــها فارســان عــن يمينـــها وفارسان عن شمالها وكذلك خلفها مثل هذا العدد.

ونزل من السيارة الباشا المنتظر، رجل مديد القامة، رياضي الجســم، لا تميزه عن غيره من الجنود إلا بزرقة عينيه وشقرة بشرته، وصغر شاربيه وارتفاع انفه إلى السماء، وبعد ان استعرض جنوده بصفتـــه قــائدا للجيـش الأردني – انتحى جانبا ليسلم على مشايخ الشوبك الذين قدموا للسلام والتقبيـل بعدما شفهم الشوق والحنين إلى ملك الصحراء غير المتوج.

وحانت منه التفاتة الى المكان الذي كنـــت اجلــس فيــه وكأنـــه رأى عجبا... رأى شخصا تدور من حوله الأحداث وكأنه في غير هذا المكان، لــم يقم ولم يستقبل مع المستقبلين؟

وكعادة الإنكليز يدسون أنوفهم في كل شيء، بعث جنديا يســـتدعيني، ولست ادري إذا كان أحد جنود المزار ممن "سرقتهم وسرقوني" قد عرفه بي، أم أنها الكبرياء الإنكليزية تأبى إلا ان تفرض حتى على مار الطريق أن يقـدم خضوعه وذلته.

قمت أتوكأ على نفسي متجها إليه. وكأني قمت لتوي عن الختان، من طول السفر وتعب الركوب، قلت: السلام عليكم، فرد التحية...

ومددت يدي للسلام، فمد لي أطراف اصابعه، وكأنه يتقزز من السلام علي. قال: من انت؟ قلت عمر عناني. قال: ماذا تشتغل؟ قلت: كنت معلما في بصيرة وها أنا منقول إلى وادي موسى. قال: ومن قبل كنت في المزار... وداخلني الرعب. قلت: ها أنت تعرفني. قال: ومن لا يعرف الهرامي - أي الحرامي -؟ قلت: أنت مخطىء أنا لست حراميا: قال: أنت هرامي ونص... ألست الذي سرقت أسلحة الجنود من مخفر المزار؟

قلت: تهمة باطلة برئت منها. قال: براءة كذب. قلت: بقولك هذا تنتهك حرمة المحاكم التي تحكم باسم سمو الأمير: قال: أنا هلا بقدر احط "الكلبوش" في أيدك وأضعك في السجن. قلت: أنت صاحب السلطان: وتستطيع ان تقتلني فوق هذه، لأنك - واستغفر الله - فعال لما تريد. ونهرني صائحا: يا الله روح عن وجهي. وتمتم ببعض الشتائم بالإنكليزية: قلت: ما كنت لأجيء لو لم تستدعني. وعدت إلى فراشي كاسف البال مكسور الخاطر. أما هو... فقد ودع المستقبلين وانصرف، فتقدم مني ضابط عربي فعرفني بنفسه، وقال أنا حكمت نوري قائد مقاطعة وادي موسى، وأريدك ان ترافقني. قلت: دعني من صحبة - الجندرمة - أي العسكر، فهي لابقاء لها. وكأنه أراد أن يجبر بخاطري بعد الذي حصل مع بيك باشا قائد الجيش العربي.

كان حكمت بك مدعوا إلى العشاء في خربة - أبي مخطوب - من أعمال الشوبك، وهي مسقط رأس الهباهبة. الذين كان منهم علي مطلق الهباهبة وأخوه محمد مطلق، وكانوا وغيرهم من كبار قادة الجيش العربي.

وقد كانت - أبو مخطوب - في ذلك التاريخ خربة قائمة إلى الشمال الشرقي من قلعة الشوبك المشهورة. بيوتها مكونة من عدة سقائف تحتضن بطن الجبل.

تقدم حكمت بك القائد فالتف الناس من حوله يسلمون ويرحبون، فنالني قبل أن يتحققوا من هوية أمري بعض هذه الترحيبات. ومن المألوف ان تتجمع عشيرة الهباهبة في سقيفة كبيرة تشبه - دار الندوة - وتتسع لقرابة مائة وخمسين شخصا، وليس فيها نافذة واحدة، ولها باب متوسط وثقب في السقف يسمى الروزنة لتصريف الدخان. جلس القائد على فراش وثير في الجهة الشرقية وجلست قبالته في الجهة الغربية على فراشي. وبعد العشاء احضر الطعام وبالطبع وضع معظم الذبيحة أمام القائد وفي غمرة نهمه بازدراد الفت واللحوم نسي الضيف الذي دعاه ليكون بمعيته. ووضع أمامي قطبة وعاء فيه بعض الفت وعليه ضلعتان ليس ما يجمعهما إلى بعضهما إلا غشاء رقيق كالغشاء الذي يجمع بين أصابع البطة.

لقد رأيت في هذه المعاملة تحقيرا الي، فلم أمد يدي إلى الطعام، ولم ينتبه الي أحد، وكلهم يحفون ويزفون بالقائد.

انتهى الاكلون وغسلوا أيديهم وجلسوا يحتسون القهوة، وساد السقيفة سكون، فنهضت عن فراشي وحملت صرة طعامي من شواء اللحم والشراك وجلست في وسط السقيفة بقرب جذوة النار لاستضبيء بنورها لان السراج الضعيف الذي كان مشتعلا كان بحاجة إلى نور يستبين به نفسه وبدأت أفصل شرائح اللحم عن عظامها من خروف شمروش ملك الجان... بهت

الحاضرون من هذا العمل وقال حكمت بك ما هذا يا أستاذ؟ قلت: رفيق الضبع يبيت بلا عشاء ورفيق السبع شبعان. صاح شيخ قبيلة الهباهبة:

- يا خطيب عملك هذا تحقير لنا قلت: أنا لا ألومكم إذا لم تكرموني فأنا جئتكم بغير دعوة. ولكني ألوم القائد الذي جئت هنا بدعوة منه، فأنا على هذا ضيف عليه ولست بضيف عليكم، ولكنه نسيني أو تناساني فانطبق عليه المثل عند البطون تغيب الذهون.

فانتصب شيخ القبيلة واقفا وغشيني في مقعدي ولملم طعامي وأعاده إلى صرته وقال:-

عشاء الضيف يا عرب

فتنادي أفراد القبيلة يتسابقون، كل يريد ان يذبح خروفا جديدا خاصا بهذا الضيف.

قال شيخ القبيلة:

علي الطلاق من نسائي الأربع ما يعشي الضيف إلا أنا... وذبح خروفا جديدا أكلنا منه عند الفجر أنا ورفيقي.

وقال شيخ العشيرة:

يا ليت لي عشرة أخوة مثلك ....

هيشة الشوبك

مع تباشير الفجر ارتحلنا من أبي مخطوب نحو وادي موسى، ومع ضحوة النهار كنا على أطراف هيشة (غابة) الشوبك حيث وجدنا بعض الفتيات يحتطبن من الشجيرات الصغيرة كالشيح والرتم من أطراف الغابة ولا يدخلنها. حييتهن فرددن التحية وسألتهن لماذا لا تحتطبن من الغابة فردت علي أفرعهن طولا وأجملهن صورة وشعرا.

يا لله حسيين عليك يا كايد	صاير حرامي على الهيشة
والناس في بيوتهم ظوعة	من قلة الزاد والعيشة

قلت ومن هو كايد الذي تدعين عليه؟

قالت أما تعرف كايد حارس الهيشة، واللي تطب منها الهيشة تحط غرامة.

دخلنا هيشة الشوبك وكنت احسبها كهيشة العطاعطة بأشجارها الباسقة وأزهارها العطرة، واذا بها اين الثرى من الثريا؟ هذه أشجارها صغيرة وأعوادها نحيلة وهي متفرقة الشجر متباعدته. قلت لصاحبي ولم أشجار هذه الغابة قميئة متباعدة، وأشجار هيشة العطاعطة ملتفة باسقة.

قال: لقد كانت هيشة الشوبك اضخم واعظم هيشة في الأردن، غير ان الجيش التركي في الحرب العظمى الأولى اقتلع أشجارها واستعملها وقودا للقطارات الذاهبة للحجاز بدلا من الفحم الذي منعه عنهم الإنكليز.

سرنا في طرق ومنحنيات وأودية حتى وصلنا إلى وادي موسى. سألنا عن المدرسة، وإذا بها غرفة مستطيلة وهي جزء من جامع البلدة، احتللت قرنة من قرنها، واتخذتها لي مسكنا لعدم وجود مساكن في القرية ووضعت ستارة تفصل بيني وبين الطلاب.

مكثت أسبوعا لم يزرني خلاله أحد من أهل القرية، لان الخطيب الذي سبقني وهو السيد هاشم الرمادي من يافا لم يكن يسمح لأحد بزيارته، فشعرت بالوحشة وكنت اقضي أيامي ولياليي ساهرا متهجدا متعبد أتلو القرآن. وبعد العصر أركب الهجام إلى عين موسى التي تنبع من صخرة عظيمة حيث أتوضأ وأصلي في المكان الذي كان يصلي فيه موسى.

لقد انقطعت صلتي بالناس وتوثقت صلتي بالله، وفي صبيحة أحد الأيام وبينما أنا في الدرس إذ سمعت صراخا وعويلا في الشارع أمام المدرسة فدفعني الفضول لمعرفة هذا الذي يجري أمامي. تقدمت من الجمع وإذا في وسطهم شاب ملقى على الأرض ونظرت إليه فإذا هو زين الشباب، كان متشنجا إذا حركوا يده أو رجله تحرك سائر جسده وقد أيقنوا أنه مات، وأمسكت بيده أتحسس نبضه وإذا به ضعيف خائر فقلت لهم إن الرجل لا يزال على قيد الحياة.

وكان أول عمل قمت به أن أحضرت سدادة من الفلين وحاولت فتح فمه لأدس السدادة بين فكيه فلم استطع وكأنهما مشدودان بملزمة. وساعدني بعض الحاضرين حتى تمكنا من فتح فمه ودس الفلينة بين فكيه، ثم فتحت صدره واجريت له تنفسا صناعيا وأحضرت روح النشادر فلما شمه عادت إليه الحياة وبدأ صدره يعلو ويهبط أثر التنفس الصناعي، وفتح عينيه وجال

ببصره حوله وبعد ذلك انقلب الصراخ والعويل عليه إلى أهازيج وزغاريد فرحا بنجاته.

انسللت إلى مدرستي وانفض الناس كل إلى مقصده ولكنهم كانوا في حيرة، من يكون هذا الرجل الذي لا يعرفهم ولا يعرفونه؟ ومن أين جاء؟ وكيف وصل؟ وبعد هذا الحادث أصبحت عندهم كالمسيح أبرىء الأكمة واحيي الموتى بإذن الله. واخبرهم الطلاب أنني الخطيب الجديد.

جاءني صاحبنا بالأمس في عصر اليوم التالي ليقدم لي شكره وليدعوني إلى بيته ليكرمني بدل الذي صنعته معه.

قلت له: أيها الأخ الكريم ان الذي صنعته واجب وهو أول درس من دروس الكشافة، وأنا ملزم أن افعل ما فعلت وإن لم افعل فالقانون يمنعني والله يعاقبني. قهقه الشاب وقال: أريدك ان تعرف من أنا؟ أنا هارون ولد موسى الطويسي، وقد ماتت أمي ولم تعقب غيري من الذكور وأختي سارة من الإناث. وأبي أغنى رجل في البلدة وقد وضع كل ماله وثروته تحت تصرفي وهي عنده لا تساوي قلامة ظفري، فكيف بمن أعاد الي الحياة، ثم هو بعد ذلك (أي أبي) تجري بين جلده ولحمه قطعة صلبة كبيضة الحمام تظل تجري في كل أنحاء جسمه لا تدعه ينام لا ليلا ولا نهارا، وكلما حاول القبض عليها بين كفيه انزلقت تجري كالرصاصة وقد عجز الأطباء عن كنهها، وماهيتها قلت أبلغ أباك مني السلام وأخبره أنني لا أتقاضى اجر المعروف. قال هارون (اسمع) يا أستاذ والله إن كلامك هذا يقطع أحشائي، انك تريد أن تجعل من كرمنا قضية مساومة في صفقة بيع وشراء (قلت) وإذا لم يكن الأمر كذلك

فأين هو كرمكم وأنا هنا منذ أسبوعين لم يتفضل علي خلالها أحد منكم بفنجان من القهوة).

قال (يا أستاذ لا تؤاخذنا بما فعل السادات منا، فنحن ليس لنا ولد فـــي المدرسة يخبرنا بقدومك كما إن منازلنا بعيدة عن البلـــدة)، وقبلــت الدعــوة وذهبت في اليوم التالي.

لقد كان جميع أفراد العشيرة في انتظار الخطيب الذي عمل المعجــزة بإنقاذ حبيبهم من الموت، انه شاب بين يديه الجاه والمال والفراغ. كنت اخرج وإياه بعد الدوام في نزهة على صهوات الخيل.

- إلجا - مصيف الأنباط

ແ

إلجا هو الاسم القديم لبلدة وادي موسى الحالية، وسميت بهذا الاسم لأن الأنباط الأوائل الذي هاجروا من جزيرة العرب، لجأوا إليها لأن بها مائة نبعة ماء، أكبرها وأهمها عين موسى التي تنبع من صخرة عظيمة، ويتناقل السكان خرافة يقولون فيها، لقد سميت هذه العين بعين موسى، لأن موسى لما قدم ببني إسرائيل إلى هذا الموضع، وكاد يقتلهم العطش، ضرب تلك الصخرة العظيمة بعصاه، فانفلقت الصخرة فلقتين انفجر الماء من بينهما ولذلك سميت عين موسى، أما حقيقة أمر هذه التسمية فذلك لأن موسى نزل بها في مروره من هناك.

أما قبائل الأنباط التي سكنت إلجا فقد كثرت غزوات القبائل عليهم فاختطوا لهم مدينة بترا ونحتوها من الصخر، إذ جاء في القرآن الكريم، "وينحتون من الجبال بيوتا".

وقف الماء في بادئ الأمر حجر عثرة في تخطيط المدينة، لقلته في بتراء فأقام الأنباط القدماء شبكة للري لمدينتهم، يقف العقل مبهورا لدقة التصميم وعظم الهندسة في ذلك الوقت، السحيق.

لقد جلبوا الماء في قنوات من عين موسى، فلما وصلت هضبة البتراء اجروها في ثلاث قنوات منحوتة في الصخر، الأولى تدور على حافة أعلى الهضبة، والثانية على انخفاض ثلث الارتفاع الأول، والثالثة على ارتفاع

الثلث الثاني، وعندما كان الواحد منهم يحفر مسكنه، كان، يحفر له قناة خاصة من أقرب القنوات الثلاث الرئيسية إليه. فإذا أخذ حاجته من الماء سد القناة بسداد خاص ليجري الماء إلى غيره وهكذا، ولا تزال آثار هذه القنوات باقية إلى الآن، وإن كانت خربة.

وقد أقاموا على مجرى هذه القنوات طواحين الماء التي لا تزال آثارها باقية إلى الآن، وقد رأيت مشهدا خالدا أخاذا لحديقة أو متنزه قديم، حيث أقاموا جسرا تجري تحته المياه الفضية، يجلس الناس على جانبيه، ويدلون أرجلهم في الماء، وقد زرعت على جانبيه أشجار الرمان، وزرعت بقربها دوالي العنب فتداخلت الكرمة بين أغصان الرمان، وتعانقت الرمانتان المتقابلتان على طرفي الجسر، فتدلت من خلالهما، فوق رؤوس الجالسين عناقيد العنب وبقربها حبات الرمان، وما عليك إلا أن ترفع يدك لتنال من ثمرها ما شئت، وقد كنت أسكن في أيام الصيف فوق هذا الجسر، فلما زارني مفتش المعارف في ذلك الوقت. وجلس على الجسر وقال والله كأنها الجنة، مياهها جارية وقطوفها دانية، لا تسمع فيها لاغية. وكان الأنباط يلجأون إليها عندما يشتد الحر تماما كما يفعل سكان بيروت اليوم حيث يقضون الصيف في الجبال.

- سكان إلجا (وادي موسى) -

يسكن وادي موسى في الوقت الحاضر أربع عشائر:

١- **الشرور**: وشيخهم إسماعيل بن فلاح ويذكر عن تاريخ قبيلتهم. ان أصلهم من قبيلة حرب الوهابية، ولما غزا الوهابيون في دور دولتهم الأولى وادي موسى أصيب جدهم شرار في المعارك، فآواه وحماه أحد سكان وادي موسى، ولما ارتد الوهابيون بعد هزيمتهم مع المصريين، بقي شرار في وادي موسى، فزوجه الذي حماه إحدى بناته، وجاء من عقبه عشيرة الشرور، وقد سموا بهذا الاسم لكثرة شرهم وشدة بأسهم، ولما كثر شرهم وعظم خطرهم تكاتفت عليهم بقية العشائر وأجلتهم عن وادي موسى إلى خربة على بعد سبعة كيلومترات إلى الجنوب، من وادي موسى، عرفت فيما بعد بقرية الشرور.

ومما يذكر من أعمالهم الثورية في الوقت المعاصر ان محافظة معان مع وادي موسى والشوبك، كانت تابعة للحجاز، ولما أخرج الملك حسين الأول وابنه علي في حربهم ضد عبد العزيز بن سعود من أرض الحجاز، ظفر الإنكليز بنصيب الأسد من الغنيمة، فاقتطعوا العقبة ومعان ووادي موسى والشوبك، من أرض الحجاز وضموها للأمير عبد الله اسما، ولكنها كانت لهم فعلا، حيث كان يقيم في معان مدير مخابرات بريطاني عام، وكان مسؤولا عن الجزيرة العربية جميعها وله دولة قائمة بذاتها واتباعه ينتشرون في كل

مكان. يأتونه بالمعلومات التي يريدها. وكان يغدق العطاء لعملائه، وكان يكثر الولائم لمشايخ العشائر ويغدق الهدايا عليهم.

أرسل الأمير عبد الله ثلة من جنود الفرسان قوامها ثلاثة عشر جنديا مع ضابط ومعهم مدير ناحية مغربي من أحفاد القائد الثائر البطل عبد القادر الجزائري، وقد روى لي أبو محمد الجزائري مدير الناحية عن تلك الثورة، قال: أقمنا مخيما لنا خارج القرية، وقبل انبلاج الفجر سمعنا التهليل والتكبير بأصوات مزمجرة يملأ صداها جنبات الوادي. فهببنا من النوم مذعورين هلعين. وجعلت الأصوات تقترب منا رويدا رويدا. مطبقة علينا من كل مكان، ولما اقتربوا منا أمطرونا بوابل من الرصاص أغزر من المطر المدرار، ولم ينج من الفرسان إلا واحد اعتلى جواده في ظلمة الليل لأنه لم ينقض أجله. قلت: وأنت كيف نجوت؟ قال: أما أنا فلما رأيت الفرسان يتساقطون حولي صرعى، وضعت سرج فرسي على ظهري، واحطت نفسي بفراشي، وشبكت أصابع يدي، وضممت رجلي بيدي وأخفيت رأسي بين ذراعي، فصرت كالكرة الصغيرة أنتظر قدري المحتوم، وقد تقطعت أنفاسي وتجمد الدم في عروقي. ولما توقفت الرماية من الفرسان بعد ان قضوا نحبهم، تقدم، المهاجمون من المعكسر ينتهبونه.

ولما رفع أحدهم السرج عن ظهري، ووجدني تحت السرج أشهر سيفه يريد به ضرب عنقي، وقد وخط عارضيه الشيب، وفي أسفل ذقنه شعيرات خليط من الأبيض والأسود والموت يبرق من عينيه، تراخت يداي، وأفلتت رجلاي، فقلت له متوسلا: - أنا بوجهك - أي أنا في حمايتك. قال: (من قلة السلامة) أي أنه قاتلي لا محالة! قلت: وما ذنبي أنا تقتلني؟ قال: لأنك كافر.

قلت: أنا مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. قال: كذبت. أنتم جاء بكم بلامس الكافر الأحيمر - يقصد قائد الجيش العربي بيك باشا الإنكليزي. قلت: ألا ترى أني لا ألبس ملابس عسكرية وأني لست منهم! وقد جئت لأصلي بالناس، فماذا ينفعك قتلي؟ قال: اجرح تفرح. قلت: أو تفرح بقتل رجل مؤمن موحد بالله، لم يقتل لك قريبا، ولم يقدم لك إساءة؟ قال الرجل: وقد هز سيفه في وجهي، اضرب بالسيف تلحس عسلا! قلت للرجل: أبق علي لأطفالي وسأعطيك ساعتي الذهبية وكل ما معي من ملابس، ثم أبق علي رهينة عندك حتى أبعث لزوجتي فتفتديني منك بمائة جنيه ذهبية من أم الحصان. (الجنيه الإنكليزي) قال الرجل: وإذا لم تدفع زوجتك المائة جنيه؟ قلت: عندها تقتلني! فاقتنع الرجل وسلبني كل ما املك وأخذني معه رهينة. وفي صباح اليوم الثاني جاءت قوة كافية من فرسان الجيش العربي بقيادة بيك باشا وطوقت وادي موسى وأخذت مشايخ وادي موسى ونكلت بهم وكان بين الأسرى شيخ عشيرة الشرور في ذلك الوقت واسمه موسى بن مغنم.

فأطلقوا سبيلي واسترجعوا ملابسي وذهبت لسجن معان حيث الشيخ موسى بن مغنم فوجدته يحمل جردل القاذورات، فذكرته بجملته: يا شيخ موسى بن مغنم اضرب بالسيف تلحس... وسكت فأكمل الشيخ تلحس... ويطلق على سكان وادي موسى اسم عام هو اللياثنة.

أما العشيرة الثانية من اللياثنة فهم العطايا نسبة إلى جدهم عطا، وتضم العشيرة فرعين: الفرع الأول السلامين ومختارهم كان هارون السلامين ويدعون أنهم نزحوا لوادي موسى من قرية السموع وأن اقاربهم السلامين لا يزالون يسكنون قرية السموع.

أما الفرع الثاني فهم الفرجات نسبة إلى جدهم فرج وشيخهم ضيف الله

الفرجات العشيرة الثالثة العلايا وشيخهم عقلة بن معمر وهم عدة فروع:

أ- العمارات ويقولون ان أصلهم من التعامرة في فلسطين

ب- النوافلة ويقولون أن أصلهم من الظاهرية قرب الخليل في فلسطين.

جـ- الحمادين ويقولون أن أصلهم من قرية الجدي بالحجاز.

العشيرة الرابعة: العبيدية وهم أيضا عدة فروع.

أ- الحسنات، وأصلهم من فلسطين وشيخهم محمد الحسنات.

ب- الهلالات وشيخهم عبد الله بن هلال وأصلهم من فلسطين.

جـ- الطويسات وأصلهم من بادية الحجاز.

- الخان -

الخان: مغارة كبيرة جدا. وتروي الخرافات عن هذه المغارة ان لـــها بابين الباب الأول في بترا وينتهي في باب آخر في فلسطين، ويذكرون قصـــة لإثبات دعواهم، ان راعيا كان معه ثوران تقاتلا فغلب أحدهما الأخر ودخـــل الخان، وتبعه الأخر وضلا في المغارة ولم يعودا. وبعد مدة طويلـــة ذهـــب الراعي في تجارة إلى فلسطين ونزل ضيفا على قبيلة من قبائل بدو بئر السبع - فلما أمسى المساء وروح الرعيان وجد ثوريه بين ماشـــيه للقبيلـــة فذكـــر قضيته فاعترفوا للراعي بأنهم وجدوا هذين الثورين ضالين فاحتووهما باســـم صاحبهما وأعادوهما إليه.

أما حقيقة هذا الخان الذي يقع على مدخل البترا والذي توجـــد أمامـــه ساحة واسعة فقد كان ملتقى القوافل التجارية (زمن ازدهار مدينـــــة البـــترا) القوافل الآتية من الشمال والغرب بالقوافل الآتية من الجنوب والشرق حيـــث يتقايضون السلع.

السيك

السيك: هو الممر الوحيد الموصل بين مدينة البترا والعالم وهو عبارة عن نفق مكشوف احتفرته السيول في صخور بترا الرملية، وعلى جانبي هذا المدخل، في أعلى الصخرة مقعدان لحارسين يتبادلان الحراسة ليلا ونهارا فإذا ما رأيا خطرا داهما، ضربا في بوقيهما، فتجمع السكان الذين كانت مدينتهم وكأنها ثكنة عسكرية ليتصدوا للمهاجمين ويردوهم على أعقابهم.

دخلت هذا الممر وتلفت حولي فإذا بي أعيش في أعماق التاريخ البعيد البعيد. وكأني من أهل الكهف القائمين من اجداثهم، فانتابتني الرعدة، وغمرتني الرهبة ونظرت حولي اطلب النجدة، فلم يجبني الا وقع حوافر "الهجام" تتردد أصداؤها في جنبات النفق وكأنها أصوات الغابرين ممن عمروا تلك الديار من قبل التاريخ ومن بعده، فازددت هلعا وخوفا، وتحسست جسدي وتفقدت نفسي.

هل أنا حقيقة من الأحياء؟ أما أنا خيال من الماضي؟

وأردت أن أرفع رأسي إلى السماء اطلب منها العون على تخليصي من محنتي، وإنارة طريقي. ولكن أين هي السماء؟ ليس لها أفق قريب أنظر إليه، لقد حجبت جوانب النفق وارتفاعه أفق السماء، إذن فلأنحن إلى الخلف اكثر فأكثر لأرى فرجة صغيرة من السماء، فلما رأيتها عرفت أني في عالم الأحياء. وسرت في طياته المتعرجة الملتفة حول نفسها. خلت في واحدة منها ان هذه نهاية السيك، وانه قد أغلق على نفسه.

سرت في هذا المكان منقبض النفس وكأني أسير في لحد كبير. وفجأة وقفت مبهوتا. ما هذا؟ قصر عظيم منحوت في الصخر، وكأن صانعه قد فرغ من صنعه توا، وقد مضى عليه آلاف السنين، الشمس قد تسللت إليه من أخدود في السيك فانعكست أشعتها على ألوان الصخر المنحوت منها القصر، حمراء، صفراء، زرقاء بنفسجية، تلقاك ضاحكة مستبشرة لترفع عن كاهلك، الوحشة والسأم اللذين خلفهما السيك، أهذا قصر من قصور باريس الحديثة اشرف على أقامته عباقرة المهندسين؟ أعمدة شامخة، على جوانب أبواب عالية، وفوق الباب الأوسط، نحت على هيئة جرة بارزة في الصخر، أول ما تشرق الشمس تقع عليها، ولذلك سماها الناس الجرة، وسماها آخرون خزنة فرعون، ولا شيء قبيح في هذا القصر إلا آثار طلقات الرصاص التي شوهت منظر الجرة، نتيجة لقصة خرافية منتشرة عند البدو وهي أن فرعون مصر، خزن أمواله في تلك الجرة التي لا يمكن الإنسان أن يصل إليها، فانهالوا عليها بالرصاص ليثقبوها، ويتساقط ذهبها عليهم ولذلك سموها خزنة فرعون.

أما حقيقتها فهي معبد من معابد الأنباط العرب الذين هاجروا إليها في موجة من موجات الهجرات العربية من جزيرة العرب إلى أطرافها وقد كانوا يقيمون معابدهم للشمس، إما لاستقبالها عند شروقها أو لوداعها عند غروبها.

وكيف كانوا يقيمون هذه الأعمدة العالية والتماثيل المرتفعة! وليس لديهم روافع ولا معارج عليها يصعدون، ذلك انهم كانوا يبدأون في نحت المعبد من أعلى الجبل وينحدرون به إلى أسفل الوادي، وما نحت من الأعلى لا يمكن الوصول إليه بعد إتمام العمل.

وبعد خزنة فرعون ينفسح الوادي امامك، وتتسع أرجاؤه، وتترامى نواحيه، وفي كل ركن من أركانه وعلى قمة كل جبل من جباله تجد معجزة من معجزات التاريخ، لو أرخيت لنفسك العنان واقفا مذهولا أمام عظمتها، لانقضى عمرك قبل أن تنقضي زيارتك.

المدرج

سر قليلا إلى الغرب من خزنة فرعون تجد مدرج بترا العظيم: صخرة واحدة بألوانها المختلفة الزاهية منحوت فيها مدرج يتسع لأربعة آلاف شخص على شكل حذوة الحصان، وفي أعلاه غرف مبثوثة وعلى جنباته نمارق مصفوفة، وفي نهاية المدرج (الحلبة) حيث تقام الألعاب في الأعياد، وتمثل التمثيليات.

المذبح

على جبل عال بين الخزنة والمدرج أقدم مذبح عرفه التاريخ حتى الآن تصعد اليه بدرج منحوت في الصخر لا يتسع لأكثر من شخص واحد.

لو زلت بك قدمك على درجة من تلك، الدرجات لأندفت عنقك وكان فيها حتفك. وقد اختاروا هذا الجبل المشرف على كل أنحاء بترا ليقيموا عليه مذبحهم، ليتقربوا بقرابينهم إلى آلهتهم، نحتوا على قمة الصخرة مكانا تلقى فوقه النذور، فإذا ما ذبح رئيس الكهنة النذر سال دمه في قناة منحوتة في الصخر تفضي إلى حوض واسع، وفي وسط الحوض مقعد يجلس عليه رئيس الدين ليغسل يديه من حوض آخر فيختلط ماء يديه بدم الضحية ويقتسمه الناس ليتباركوا به.

الدير

في أقصى الغرب من مدينة البتراء جبل شاهق تصعد إلى قمته، فإذا في أعلى القمة قد نحت هيكل عظيم، يطلقون عليه اسم الدير. تدور حوله فيأخذك العجب وتتولاك الدهشة. هيكل منحوت من صخرة عظيمة، مرت عليه آلاف السنين وهو يتحدى عوامل الطبيعة، يصرخ في وجهها: اعصفي يا رياح وزمجري يا رعود، وثوري يا عواصف، فها أنا أمامك ثابت، أزهو بجدتي كأن الصانع قد فرغ من صنعي لتوه.

تدور حول الدير مرة ومرات لتجد لك مكانا ترقى منه إلى الدير فتتقطع بك السبل، وتعييك الحيل وفيما أنت في حيرتك ودهشتك يتقدم منك سويلم البدوي تنتشر على وجنتيه شعيرات هنا وهناك كزرع ممحل وجلد مدبوغ قد التصق بعظم صاحبه، لأنه لم يجد لحما يفصل الجلد عن العظم أما أصابع يديه فكمخالب الطير وأقدامه كأقدام القردة، يقول لك: (أتعطيني قرشا وأنا أوصلك إلى أعلى الدير؟) قلت: من أين وكيف؟ قال: لا عليك: هات القرش واتبعني. ونقدته القرش وتبعته، حتى وصل إلى ركن من الدير منحوت على صفحته ما يشبه سلم الأطفال، لا يتسع إلا لقدم واحدة أو قبضة واحدة، أمسك برؤوس أصابع يده، واستند على رؤوس أصابع قدمه، وترك اليد الأخرى والقدم الأخرى في الهواء وجعل يرقى بخفة الطير كأنه بهلوان حتى وصل إلى القمة، ثم عاد ينحدر كالسيل، قلت لسويلم: كم سنة مرت عليك ترقى وتنحدر هكذا؟ قال: خمسون سنة! قلت هل تريدني أن أفعل ذلك في لحظة؟ قال: ليس الأمر كذلك: قلت وهل أعطيتك القرش لتصعد أنت؟ قال: لا. تمسك أنت بيدك ساقي، وتضع قدمك على درجة أخرى. وكلما

غيرت قدمي على درجة غيرت أنت يدك وقدمك على درجة أخرى، وهكذا فعلت ولكن عندما قاربت أن أصل إلى القمة ونظرت إلى أسفل دارت الدنيا برأسي وأصابتني دوخة. وخبرت سويلم بما حصل لي فقال: لا تنظر إلى أسفل وانظر إلى أعلى، وإلا كان فيها حتفك. ووصلت ممتقع الوجه. وبعد أن استرحت قليلا واستردت أنفاسي وقفت أنظر إلى ما حولي، وإذا بالدنيا من حولي، كأني أنظر إلى خارطة جغرافية، وادي العربة من الغرب والبتراء تحيط بي، وبعد أن متعت ناظري بهذه الصور العجيبة وأردت النزول قال سويلم: لا، أنتظر قليلا قلت: ولماذا؟ قال لتشهد منظرا عجيبا.

فانتظرت حتى قاربت الشمس المغيب، فأخذني إلى كوة في أعلى قمة الدير لا تغرب الشمس حتى يكون آخر وداع لها من هذه الكوة. قلت: ولم كان هذا؟ قال: لقد كانوا عبدة شمس، فهي أول ما تشرق في قصر الخزنة وآخر ما تغرب تغرب في كوة الدير، ومن أجل هذا بنوا لها هذه المعابد.

انحدرنا لنقضي ليلتنا في أحد كهوف البتراء، وسويلم يسمر معنا. قلت لسويلم: الأنباط القدماء كانوا يعبدون الشمس، وأنتم خلفاؤهم ماذا تعبدون؟ قال سويلم: يقولون بأننا مسلمون: قلت: وأنت ماذا تقول؟ قال: أقول مثلهم. قلت: أتعرف الصلاة؟ قال: الصلاة تحتاج إلى قراءة، وأنا لا أعرف القراءة.

قلت: الصلاة لا تحتاج لأكثر من سورة الفاتحة والتحيات. قال: يرحم بيك: لقد أرسلت لنا الحكومة التركية شيخا يعلمنا الصلاة، وكنت راغبا في ذلك، وأول ما بدأ يعلمني الفاتحة وأستمر زمنا طويلا يحفظني وأنا لا أحفظ. ولم يترك وسيلة إلا والتجأ اليها، ليخرج مني مصليا، ولما أعيته الحيلة، قال

لي الشيخ هل عندك ماعز؟ قلت: نعم. قال سمها لي: قلت الأولى الصبحاء والثانية الحواء والثالثة البرقاء، وهكذا عددت له ماعزا بعدد آيات الفاتحة.

قال لي الشيخ، احفظ مقابل الصبحاء: الحمد لله رب العالمين وبدل الحواء الرحمن الرحيم، وهكذا مقابل كل آية عنزا حتى حفظت الفاتحة، فقرت عين الشيخ لنجاحة بتلميذه النجيب، ولقدرته على اكتشاف وسيلة يحفظني بها القرآن. وبعد أسبوع عدت إلى الشيخ فقال لي إقرأ الفاتحة، فقرأتها وأغفلت. اهدنا الصراط المستقيم.

قال الشيخ: أين الصراط المستقيم: قال سويلم: أكلها الذئب. ذلك أن الذئب أكل شاة سويلم المسماة بهذا الاسم؟!!!!

أم البيارة

قلت لسويلم: إلى أين ستأخذنا اليوم؟ قال: إلى أم البيارة القسم الشمالي من البترا. قلت: وماذا بها؟ قال: سترى فاتبعني. وتبعته إلى أن وصلنا إلى حافة جبل شامخ، قال ترجل عن الحصان، فترجلت، وجعل يلف بنا في طريق حلزونية متعرجة، لا يزيد عرضها عن موطىء القدم، وكلما علوت في تصعيدي خلفه، ازددت خوفا ورهبة، وحينما كنت التفت إلى الوادي السحيق بجانبي كانت الدنيا تدور برأسي، واستنجدت بسويلم وسويلم، يسخر مني ويقول: ان أطفالنا الصغار ينزلون الجبل ويرقونه في اليوم مائة مرة، وأنت تعجز عن صعوده مرة واحدة !!

وأسلمت أمري إلى الله وتبعته لأن الرجوع إلى الوراء أصبح أمرا أشق من الصعود فوصلت والعرق يتصبب مني. ورأس القمة يفضي إلى هضبة صغيرة تكثر فيها الكهوف والآبار.

قلت لسويلم: وكيف تعيشون على هذه الهضبة الصغيرة الجرداء؟ قال: أنظر فنظرت وأشار إلى بضع شويهات سمراء، تتراقص جداؤها من حولها وقال: من هذه الشويهات يقتنيها الواحد منا ويعيش. قلت: وما يجبركم على شظف العيش هذا؟ قال: حبنا للحرية والاستقلال. قلت: وهل هذه الهضبة الصغيرة تهبكم الحرية والاستقلال؟ قال: نعم فنحن منذ آلاف السنين إذا استبد بنا حاكم ظالم، أو هاجمنا عدو غاصب، لجأنا إلى هضبتنا الصغيرة هذه فاحتمينا بها. قلت: ومن أين تأكلون وتشربون؟ قال: أما طعامنا فنعتمد فيه على حليب شياهنا، ولحوم جدائها مع قليل من الطعام المدخر. وأما شربنا فمن هذه الآبار التي تراها أمامك. قلت: ألا تمتزجون وتتصاهرون مع السكان المحيطين بكم؟ قال: منذ آلاف السنين أستوطن الأرض من حولنا الأنباط ثم الرومان والعرب والصليبيون والأتراك، فلم نمتزج بأحد ولم نتصاهر مع أحد.

قلت ولماذا هذه العزلة الأبدية؟ قال: لأن المجاورين من حولنا يترفعون عن قربنا ومصاهرتنا، ونحن بدورنا نبادلهم هذا الشعور.

قلت: وإذا كنتم قد سكنتم هذه الهضبة منذ آلاف السنين كما تدعي، فلم لم يتكاثر عددكم؟

قال: الذي أعرفه أننا إذا تكاثر عددنا نصل إلى ثلاثمائة شخص، وإذا تناقص عددنا نصل إلى ستين شخصا. لا نتعداها ارتفاعا ولا نبهط عنها انخفاضا، ولا أدري علة ذلك.

قلت: هل تعرفون لكم أصلا، أو تذكرون لكم نسبا؟ قال سويلم: إن الأساطير التي تناقلها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد تذكر روايتين عن هذا الأصل. أما الرواية الأولى فتقول (إن بني إسرائيل عندما مروا بهذه الأرض بعد التيه، مرض أحدهم مرضا لم يستطع معه الرحيل فتخلفت معه زوجته تخدمه ريثما يتماثل للشفاء غير أن علته طالت ولما شفي استحب البقاء على الرحيل، فخلف ذرية ومنها نحن البدول الذين ترانا من بقاياهم:

أما الرواية الثانية فتقول: ان الأنباط حينما توسعت مملتكهم وفتحوا فلسطين جلبوا معهم من العمال المهرة الكثيرين من اليهود واستخدموهم في أعمال الحفر والزخرفة، فلما اندثرت مدنية الأنباط وزالوا بقي "البدول" من بقايا هؤلاء العمال اليهود، قلت: هل انتم يهود وتدينون باليهودية؟ قال سويلم: إذا أردت الحق فنحن تائهون بين الأديان. قلت: وكيف كان ذلك؟ قال: لما كنا تحت حكم الوثنية لم يكونوا يأبهون بالاديان، فبيقينا على اليهودية، فلما جاءت المسيحية وضغطت علينا تظاهرنا بالنصرانية وبقينا على ديننا، ثم لما جاء الفتح الاسلامي، وحاصرنا قائدهم لنستسلم لجأنا إلى قلعتنا هذه واحتمينا بها، ودام امتناعنا ولم يستطيعوا ان يصلوا إلينا ولم نستطع ان نهبط اليهم، ولما طال حصار المسلمين لنا، ونفذ ما عندنا من مؤونة مختزنة اشرف رئيسنا من أعلى الجبل ونادى قائد المسلمين قائلا: ماذا تريدون منا ونحن فقراء لا نملك

مالا ولا، أنعاما تطمعكم فينا؟ فرد القائد العربي؛ إننا لم نخــرج مــن بلادنــا نبتغي مالا ولا أنعاما، وإنما خرجنا نبتغي وجه الله.

قال قائدنا: وإذا كانت هذه وجهتكم، وتلك غـــايتكم فمــا يمنعكــم أن تتصرفوا عنا وتتركونا وشأننا؟؟ قال القائد العربي: كيف ندعكم خلفنا شــوكة، تغدرون بنا وتطعنون ظهورنا؟ قال قائدنا: نحن قوم مسالمون لا نعتدي علــى أحد، حتى لا يعتدي علينا فاذهبوا عنا وفكو الحصار عنا ولكم منا عهد وميثاق ان لا نغدر بكم ولا نطعنكم من الخلف.

قال القائد العربي: إننا نطلب منكم واحدة مــن ثــلاث، الاولــى، أن تسلموا فيكون لكم مالنا وعليكم ما علينا، الثانية أن تدفعوا الجزية، الثالثــة ان تتركوا البلاد، وإلا فالسيف حكم بيننا وبينكم. قال قائدنا: أما الجزية فليس معنا ما ندفعه لكم، وأما ترك البلاد فلن نتركها، ونختار الثالثة وهي ان نبدل ديننــا بدينكم، فرضي المسلمون بذلك، ولهذا سمونا البدول.

النبي هارون
والحاج داود الافغاني

في اليوم الثالث قلت لسويلم إلى أين ستأخذني اليوم؟ قال سويلم: سآخذك إلى مكان عجيب، وشخص فيه أمره غريب، واتجهنا من البتراء إلى الجنوب حوالي سبعة كيلو مترات، ثم انحرفنا قليلا إلى الغرب مصعدين إلى قمة الجبل، انفسحت على قمته ساحة واسعة كأنها ميدان طراد، وعلى طوف هذا الميدان يرتفع نشز من الأرض، وفي أعلى قمة هذا النشز بنية صغيرة بداخلها قبر هارون. قلت لسويلم: ما الذي جاء بهارون إلى هذا المكان القصي؟ قال سويلم: ألم تقرأ ما صنعه هارون ببني إسرائيل حين أوصاه موسى بهم؟ قلت: قرأت أنه قد سمح لبني إسرائيل بأن يعبدوا العجل لحين عودة موسى. قال سويلم: وماذا فعل موسى بهارون؟ قلت: أخذ بلحيته ورأسه وشده شدا عنيفا وعاتبه عتابا مرا على فعلته. قال سويلم: ولهذا ترك هارون بني إسرائيل وظل يمشي حتى وصل إلى هذا الجبل. وانزوى فيه، يستغفر ربه حتى توفي هنا ودفن في مكانه. ودخلنا البنية التي بداخلها القبر وإذا بشيخ جليل يتربع في المحراب يتلو الأدعية، تتدلى على صدره لحية بيضاء كثة حليق الشارب، يشتمل بعمامة هندية تتساب منها ذؤآبه وعيناه غائرتان في محجريهما وقد سهدهما بطول السهر والعبادة، جبهته عريضة بارزة ينحدر منهما حاجباه يصنعان على عينيه مظلة.

سلمت على الشيخ، فرفع رأسه قليلا، وفتح عينيه قليلا فانبعث منهما بريق ساحر، ورد السلام بلكنة أعجمية. فزادتني لهجته استغرابا، ودفعتني إلى سؤآله:

- من أي البلاد سيدي الشيخ؟ قال الشيخ: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم". وقد أراد الشيخ برده هذا أن يغلق الباب ويمنع السؤآل. ولكنه برده هذا حرك فضولي، ودفعني إلى الإكثار من سؤآله، والكشف عن حاله. وقد استهواني منظر الحاج داود، بلباسه الأبيض الناصع في هذا المكان القفر. حيث لا ماء ولا شجر وجسمه النحاسي الهزيل، الذي شفه طول السهر في التناسك والعبادة والتهجد: قلت لرفيقي سويلم: يا سويلم! أعد لنا موضعا نبيت فيه هنا عند الحاج داود، بقرب النبي هارون، قال سويلم: وكيف تبيت هنا وليس معك ولا مع حصانك من الماء والزاد ما يكفيكما هذه الليلة. قلت: سيتكفلنا في ليلة واحدة من تكفل الحاج داود سنين طويلة: وبت ليلتي مع الحاج داود، أسجد وأقعد إذا قعد حتى إذا أنس بي، وفرغ من العبادة، إستدار نحوي وقال يظهر أنك لست من أهل هذه الديار قلت: وما الذي دلك على ذلك؟ قال: إستقامة لفظك وحسن أدائك: قلت: وكيف عرفت حسن اللفظ والأداء، والظاهر على لسانك أنك لست عربيا؟ قال الحاج داود: سألتك من أين أنت فأجبني عن سوآلي. قلت: أنا من فلسطين وأعمل مدرسا بوادي موسى، وعندها انفرجت أساريره وتبسط معي في الحديث. قلت للحاج داود بعد سهر طويل: والآن يا حاج داود بعد أن عرفت حقيقة أمري، فهل لي أن أعرف حقيقة أمرك؟ قال الحاج داود: لهذا حديث طويل سأنبئك بخبره. قلت: هات يرحمك الله. قال الحاج داود: أنا من بلاد الأفغان، وكان ابي تاجرا من اكبر تجارها فلم ينجب ولدا، وبعد عمر طويل من العلاج

والمداواة رزقه الله إياي، فذبح النذور وأقام الولائم وأحاطني بكل رعاية حينما لم يرزق بغيري، ولما كان أبي من أهل الصلاح والتقوى، لذلك فقد أحضر لي المدرسين البارزين. والعلماء الفقهاء، يدرسونني، علوم الدين، ويفقهونني في علوم الفقه والسيرة والتوحيد، حتى صرت ملما بالشيء الكثير من ذلك، ودفعتني سيرة الرسول العظيم، وشوقي إلى قبره الطاهر وبيته الحرام إلى أن أطلب من والدي أن ييسر لي الحج. قال أبي: يا بني أصبر حتى يكتمل عودك، وتتم نصف دينك بالزواج وأنت تعلم أنه ليس لي من الأولاد غيرك فانتظر حتى تتزوج وتنجب أولادا يرثونك ويرثوني من بعدي. قلت: لا بد من الحج في هذا العام. قال أبي: يا بني رعاك الله وحفظك. أنت تعلم أن طريق الحج غير مأمون، وأخاف أن يلقاك صعاليك البدو فيسلبونك ويقتلونك. قلت لأبي: "وإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون."

ولما أعيته الحيل ولم يستطع إقناعي بالتآخر إلى عام آخر حتى تأمن الطريق، هيأ لي قافلة كبيرة ورفاقا صالحين، وزودني بأربعة آلاف دينار ذهبا، تكفي لنفقتي ونفقة من معي مدة طويلة، توجهت إلى أرض الحجاز، فلقيني قطاع الطرق من البدو فسلبوني بعض مالي وأخفيت بعضه عنهم وفي عودتي قررت أن أقدس حجتي فأزور المسجد الأقصى وقبور الأنبياء ولما وصلت في عودتي إلى مدينة معان سألت ان كانت قبور لبعض الأنبياء والصالحين في تلك الديار، فدلوني على قبر النبي هارون ولما وجدته وحيدا في هذا المكان الخالي، قررت أن أهب نفسي له وأفني حياتي في خدمته وها أنا لا أزال كما تراني في مكاني منذ نيف وأربعين سنة.

ماري الأرمنية

قرع الجرس في مدرسة وادي موسى إيذانـــا ببــدء الــدرس الأول، ونهضت لأعطي درسا جديدا لطلابي، وإذا بامرأة مفرطة فـــي الطــول، إذا رأيتها من بعيد تسير بين الناس حسبتهم راجلين وحسبتها فارسة، وإن رأيتـــها من الخلف قتلك الشوق من حسن قوامها، وإن رأيتها من الأمام قتلك الفـــزع من دمامة مرآها.

تلبس عصابة بدوية على رأسها غطاها الصدأ، وفي يدها طفــل مــلأ الذباب وجهه.

وبدأت تكلمني برطانة يظهر من بين كل أربع أو خمس كلمات منـــها كلمة واحدة عربية فسألتها إن كانت تعرف الإنكليزيـــة فقــالت أنــا ارمنيــة واستعنت بطفلها يترجم بيني وبينها فسألتها عما تريد؟ قالت أريــد أن أســجل ولدي طالبا في المدرسة.

قلت وما الذي جاء بك من ارمينيا في أقصى الشمال إلى وادي موسى من أرض الحجاز.

ثم ما شأنك أنت في الحروب وأنت امرأة؟ قــالت: لقــد ثرنــا علــى الأتراك فاقتلعونا من جذورنا وألقوا بنا في كل فج وواد. قلت: ولكنــي لا أرى غيرك من الأرمن في هذا البلد؟ قالت: أما الرجال فقد هاجروا إلــى أوروبــا وأمريكا إلا الرجال الذين كانت لهم زوجات وأطفال، فقد أثقلهم الحمل فاناخوا

برحالهم في كل بلد او مدينة. والأرمن أصحاب حرف يدوية مهرة، وذوو نكاء وفطنة فأين ما سرت من بلاد الشام والأردن وفلسطين تجد أن الأغلبية الساحقة من الصاغة هم من الأرمن.

قلت: لقد شحطت بنا بعيدا، فأنا لا أسألك عن المشكلة الارمنية، ولكني أسألك عن مشكلتك أنت بالذات؟

قالت ماري: إن مشكلتي مرتبطة بمشكلة قومي. وعادت تتم حديثها ولكنها وعدت بالاستعجال. وقالت: أما الفتيات الجميلات من بنات الأرمن فقد تزوجهن الأغنياء أثناء مسيرتنا في طول البلاد وعرضها لأننا كنا نقضي أياما بلياليها لا نتبلغ بلقمة خبز من القحط والغلاء. الذي عم جميع البلاد التركية من كثرة الحروب التي خاضتها.

قلت: أراك توسعت في الحديث وخرجت من مشكلتك إلى مشكلة الأرمن فالمشكلة التركية، وصرت تتحدثين حديث المؤرخين العلماء، قالت: إن مشكلتي هي مشكلة قومي ومشكلة الدولة التي شردتني. ومشكلة العالم بأجمعه. قلت: يا سيدتي إنه ليس معي وقت، فأرجو أن تنهي الحديث، قالت: سأختصر الحديث وأستعجل وأردفت تقول: أما الفتيات الجميلات فقد وجدن ابن الحلال الذي تزوجهن وسترهن، أما أنا فلم يتزوجني أحد. وبدأت أنتقل من بلد إلى بلد خلف لقمة الخبز، وكنت أعمل في الحصاد والفلاحة لأستر نفسي. قلت وأين، كنت تسكنين؟ قالت: في البيت الذي أعمل فيه. قلت: ألم يطمع فيك أحد خلال عملك؟ قالت: كلا، فأنا امرأة متدينة وعندي حماية ربانية وليس في من الجمال ما يطمع الرجال. قلت: ولكن كيف وجدت من الرجال من يتزوجك وينجب منك أطفالا؟ قالت: ذاك حديث آخر. قلت: وأنا

أريد الحديث الآخر. قالت: لقد وجدت في هذا البلد رجلا غريبا لم يجد امـرأة تقبله زوجا على حاله، فتزوجني. قلت: وأنت لم تجدي زوجا غيره يقبل بـك زوجة فتزوجته.

قالت: سلامة نظرك، وماذا في مـن العيـوب حتـى لا أجـد مـن يتزوجني؟؟ قلت: أستغفر الله لو رآك مجنون ليلى هام بك عنها. قالت: اسمع، من التي ترضى بزوج لا يراها إلا مرة في الأسبوع طول حياتها؟ قلت: يراك مرة في الأسبوع والله إنه من الصابرين، فمن يكون هذا الصابر المحتسـب؟ قالت: إنه الحاج داود الأفغاني خادم النبي هارون.

قلت: وافق شن طبقة. ومن هنا اتفقا!!؟؟

معلل الطامح

قال صديقي هارون بعد اشهر طويلة من الصداقة. الك هويــة؟ قلــت وما هي الهوية. قال فتاة تحبها وتهواها تبثها هواك وتبثك هواها. قلت استغفر الله وماذا يفعل أهلها لو علموا بالأمر قال لا شيء غير أن تتزوجها إذا اتفقتما ثم قال: وهل تعيشون في بلادكم بغير هوى: قلت - حتـــى ولا تســتطيع ان تتلفظ بهذا الكلام. قال: وأنت كذلك. قلت - أنا وكل الناس. قال غور يا شـيخ وهل تعتبر نفسك من البشر وأنت لا تمارس الحب، واقبلنا على حي من أحياء العرب فقال: اسمع.. في هذا الحي فتاة طامح، عللتـــها بـــالأمس وهـــي ذات جمال فتان فهيا بنا لنشرب عندهم القهوة، وسأدعك عندهم لتعلل الطامح لترى أنك لم تكن تعيش قبل اليوم.

وافقته لأجرب هذا العالم المجهول لدي وأخبرهم هارون برغبتي فــي تعليل الطامح، ولكني بعد أن ابتعد قليلا غرقت في بحر من الهموم وجـــهدني العرق ماذا أقول للطامح؟ انه امتحان عسير لم يمر بي قبل اليوم. وخــــانتني شجاعتي وقلت لمضيفي نسيت شيئا مع صاحبي، وسأعود في الغد.

... وأسرعت بالهجام لألحق برفيقي، قال ما الذي جاء بـــك؟ قلـت: كيف تتركني هكذا كالأبكم لا ادري ماذا أقول؟ قال - لعلك تحســـبها طالبــا تعلمه حروف الهجاء؟ قلت: وهذا الشيء الذي لا اعرف سواه. قال: يا للبليــة

ما أشقاك. لا تكلمها إلا في الهوى والغرام... وذكر مفاتنها وسحر عيونها. قلت: غدا سأحمل معي هدية أقدمها تشفع لي في عي لساني.

.... وأملى علي بعض الأبيات الغزلية من شعر البادية، بت سهران احفظها. وفي مساء اليوم التالي حملت هدية من السكر والشاي والقهوة والحلوى وتوجهنا إلى موضعنا بالأمس وتركني وعاد، وبقيت وحدي احمل على ظهري جبلا من الهم. بيت الشعر الذي نحن فيه قسمان: قسم تقيم فيه الطامح وقسم تقيم به العائلة.

ودخلت عند الطامح وإذا بها ظبية في زي بشر. قلت: قوك يا بنت. قالت – الله يقوي جبايرك.. تفضل اجلس. فجلست على الفراش الوحيد الذي تجلس عليه. قالت: أراك مكسوفا. أنت فلاح ولاحظري؟ قلت – فلاح ممزوج بحظري: قالت: امتزوج انت؟ قلت – كلا، قالت – ألك خطيبة؟ قلت: كلا. قالت – ألك هوية – حبيبة –؟ قلت كلا. قالت: إذن ما الذي جاء بك الى هنا؟ قلت؟ – خويي بالأمس ذكر لي من محاسن جمالك ومفاتن قوامك ما سلبني عقلي. قالت: يا مسكين لعاد أنت بلا عقل قلت: ليس من اليوم بل من الأمس. قالت: – ربنا يصبرك: قلت: وأنت لماذا تركك زوجك الاول؟ قالت – لأنه بليه – مصيبة – قلت: وما بلاؤه؟ قالت: يأكل كثيرا ولا يعرف غير الناقة والبعير. قلت – ولم قبلته ما دامت هذه صفاته؟ قالت: خدعني منظره فهو في سكوته أمير، فإذا تكلم كشف عن نفسه وفضح أمر حاله. قلت – وهل تعتقدين أن من يملك مثل هذه الحورية يطلقها؟ قالت: هو يعلم أنني لن أعود إليه. قلت: وأنا هل تقبلين بي زوجا إذا طلقك؟ قالت: أعيش حظرية؟ قلت – نعم. قالت: أخزن كل شيء داخل الدار؟ قلت – نعم. قالت: تقتلني الروائح

الكريهة؟ قلت: أنها لا توجد روائح كريهة. قالت - أو تتركني أغادر البيت أتعلل هنا وهناك. قلت: كلا. قالت - إذن أنت تبتغي حبسي وأنا لا أريد الحبس.

ومددت يدي باسترخاء وأنا أتثاءب لألقيها على صدرها وكأن الأمر وقع من غير قصد فأمسكت بها وأعادتها قلت من شعر البادية:

يا بيظ وخذن لكن من الهوى شفه طرد الهوى وانهبن منه
باكر يجوكن هيل اللفة خطو الولد ما تعرفنه

ومعنى هذين البيتين: يدعو الفتيات البيض ان يستعجلن بارتشاف الهوى والغرام قبل أن يأتي رجال السعوديين أهل اللفات البيض فلا يستطيع أي شاب أن يخطو بقربهن. وردت علي قائلة:

يا ولد ماني هوية لك والأولى لك رفيناها

تعني أنها ليست محبوبة لي. والغلطة الأولى سامحتني بها.

وفي العزيع الأخير من الليل بعد حديث طويل تغلب سلطان النوم عليها فأسرعت إلى سيف وضعته حدا بيني وبينها وقالت: نم ان وجه حميد وهذا السيف حد بيني وبينك ونامك. ولكن كيف أنام وهذا الجمال يضاجعني.

وبعد أن استغرقت في نوم عميق مددت يدي إلى جسمها فانتفضت مذعورة وصاحت قائلة:

بيابا عندك إذبح الفلاح باق حميد -. "أي غدر حميدا"

.... وأسرعت إلى الهجام اعتلي صهوته أسابق الريح لأخلص بجلدي.

أنقذني من الورطة يا صديقي

كنت أطوي الطريق إلى صاحبي أسرع من البرق، وكنت من شدة خوفي أحسب وقع سنابك الهجام على الأرض والحصى المتطاير تحتها جيوشا تلاحقني، وأهل الطامح يطاردونني من كل مكان كانت الثواني ساعات والدقائق سنوات، ومر بخاطري قول المتنبي:

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر — وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
وأشجع مني كل يوم سلامتي — وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر

وصلت إلى صاحبي في مضارب عشيرته وأيقظته من نومه خائفا أترقب...

قال هارون: - يا كفى الله شرك - ما بك؟ قلت: الشر محيق بي! قال: - هل قتلت أحدا؟ قلت - الأمر أدهى وأمر. قال - يا هذا عجل وأخبرني بخبرك - قلت: الورطة التي أوقعتني بها. قال: أية ورطة تعني؟ قلت - ورطة الطامح... قال مالها؟ وقصصت عليه ما حدث، فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لقد كانوا منك يسخرون. ونادى زوجته الجديدة صفيه الفضول كي توقد النار وتصنع لنا القهوة، وبعد الإفطار توجهت إلى المدرسة: مكثت النهار بطوله، وفحيح أنفاس حواء التي غمرتني بها الليلة السابقة لا تزال تعبق في أنفي، لقد تغير عقلي وجسمي بعد تلك الليلة فسيولوجيا وكيميائيا.

وصارت هوايتي بعد ليلة الطامح في أغلب الأحيان الخروج وصاحبي هارون لمطاردة الصيد.

صيد من الإنس

وفي يوم جمعة أخذنا زادنا وخرجنا كعادتنا للصيد منذ الصباح الباكر ولكن الله لم ييسر لنا في هذا اليوم أي صيد، وفجأة وجدنا فتاة تحتطب، حياها صاحبي فانتصبت واقفة ترد التحية وأرسلت سهاما من عينيها الكحلاوين جعلتني كمن مسه تيار كهربائي فتسمرت في مكاني هل يعقل أن يكون مثل هذا الجمال في البادية! قامة مديدة تتثنى كعود الخيزران، نهدان نافران يخرجان العابد من محرابه.

وعادت الفتاة تضرب الأرض بفأسها وكأن الذي أصابنا منها أصابها منا، فقد رأيتها تضرب أرضا لا حطب بها وزالت المفاجأة وسألتها: - يا بنت أين يقيم أهلك؟ قالت هنه خلف تلك التبة. قلت: من أي القبائل أنتم؟ قالت - من بني عطية؟ قلت: ما اسمك؟ قالت - وما يعنيك من اسمي؟ قلت: فابنة من أنت؟ قالت - لا ضرورة لتعرف ابنة من أنا. قلت: أستحلفك بالله أن تذكري لي ابنة من أنت.

قالت - أنا ابنة أبي محمد شيخ الفريق.

قلت: فهل أنت متزوجة؟ قالت - دعك من علك الكلام وامش في طريقك واتجهنا نحو الحي فقلت لصاحبي: - أريد أن أتزوج هذه الفتاة - قال: فلعلهم لا يزوجونها لغير بدوي، قلت: الموت أهون من ذلك.

وصلنا شق الحي، فقال المعزبون يستقبلوننا بكل ترحاب ودعا أبو محمد لاطعامنا فقال: هارون: ما نحقركم.. ولكن نحن خرجنا للصيد ولم نجد ماء لنأكل وها هو طعامنا معنا. قال أبو محمد: ما بصير الضيف بحمل اكله معه، قال هارون: لم نكن نقصدكم وإلا فأنتم فيكم البركة. قال أبو محمد شعرا:

الظيف لا تعطيه مقرن علا بيك خله صديقك لو كان عدوك الله جاك

ومعنى ذلك: لا تعبس في وجه الضيف ولو كان عدوك.

ثم أخرجنا اللحم المشوي بالشراك وجاءوا لنا باللبن الرايب وأكلنا، في معية أبي محمد.

وبعد الطعام قال أبو محمد: من وين - ضيوف الرحمن؟ ورد هارون قائلا: أنا هارون ولد موسى الطويسي، من هيل الوادي - وخويي هذا من مشاوخ الغرب، وهو محكوم عليه بالإعدام وهو طنيب على سيدنا ونازل عندنا في الوادي. قال: حياه الله.

مشروع زواج

وبعد العشاء، قال هارون لأبي محمد: مسيك بالخير، قال أبو محمد يا مساء الخير.. قال، هارون خويي هذا يريد ان يتشرف بقربكم. قال أبو محمد على من؟ قال ابنتكم قال أبو محمد.. يا أخي أنت تعرف ان بنات الغرب للشرق، وبنات الشرق للغرب لكن الحضرية ما تقدر تعيش عيشة البدو والبدوية ما تقدر تعيش عيشة الحظر.

قال هارون: حنا نخليها بهذا ونفتح لها بيتا عندكم وهو يجيها وهي ما تجيه. قال أبو محمد: أنت تعرف يا هارون حنا ما نغصب البنت... هي تتزوج اللي

تريده، وان كان البنت حبت أنها تتزوج خويك، حنا ما نزيد الملح إلا ملاح.
وان كان ما رادت والله يا ابن أخي مالي بكم ولا حيلة.

ومرت لحظة كأنها الدهر. وأنا أدعو الله بقلب مخلص، وأتوسل إليه ان لا يخيب رجائي. ونادى أبو محمد - أم محمد أنت سامعه - وقالت أم محمد من وراء الستارة ويش اللي أنا سامعته؟ - ضيفنا شيخ من مشاوخ الغرب طالب بنتك يعرس بيها -

قالت: أنت تعرف اللي ترظاه للبنت هي ترظى به - قال - لعاد أعطي - قالت، اعمل ما تريد قال: وأنا أعطيت.

جهاز العرس

... عدت وصديقي إلى الوادي لنحضر في الليلة التالية - تجهيزات الفرح اشترينا لوازم الفرح من الأرز والشاي والقهوة والسكر والملابس، وما قدرنا انه يلزمنا من المهر ولا يزيد ما قدرناه عن أربعين جنيها فلسطينيا.

وصلنا إلى شق أبي محمد فإذا بجميع أفراد العشيرة في انتظارنا.

قال أبو محمد: اسمع يا نسيبنا. هساع تشتري ذبيحتين تقري العشيرة، والمهر خمسة من الماعز ولا أرضاها إلا غزرا. أي مختارة.

قال رفيقي هارون؛: هذا قليل يا أبا محمد.

قال أبو محمد - نحن لا نأخذ مهرا كثيرا لأننا قد نرده إذا لم يحدث أي اتفلق بين الزوجين.

اشترينا الماعز السبع بثلاثة جنيهات ونصف، ذبحنا منها اثنتين وقدمنا خمسا مهرا.

وكنت لا أكاد أصدق نفسي زوجة بثلاثة جنيهات ونصف أأنا في حلم أم في خيال؟

- وأرسلت بطاقة دعوة إلى حاكم إداري وادي موسى السيد محمد الأسد والد عميد الجامعة الأردنية السيد ناصر الدين الأسد وشجاع الأسد وكيل وزارة الاقتصاد وجاء منه الرد التالي -

لا تعذليه فان العذل يولعه　　　　قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

اعتقد أنك سوف تندم على هذه المجازفة ولو اتبعت رأيي لعدلت عن فكرتك. اعتذر إليك عن الحضور متمنيا لك الخير في حياتك الزوجية المقبلة.

- محمد الأسد -

لا تعذليه فان العذل يولعه　　قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

محمد الأسد مدير ناحية
وادي موسى

مراسيم الزواج

العقد - جلس أبو محمد قبالتي ونادى ابنته - "يا غضية وكلتني في زواجك من الشيخ اعمر؟" وردت غضية من خلف الستارة "وكلتك".

ثم وجه الكلام الي - "قبلت يا شيخ اعمر بنتي غضية زوجة لك على سنة الله وسنة ورسوله؟" ورددت عليه، "نعم قبلت".. فمد يده على قشة تناولها من الأرض وقال "هاك قصلتها" وناولني قشة أخرى من الأرض فمددتها عليه وقلت "هاك قصلتي".

ثم قرأنا الفاتحة فتمت بذلك مراسيم العقد.

رقصة الحاشي

بعد العشاء أشعلوا النيران ونصبوا حلقة من السمار على شكل نصف حذوة، ووقفت في وسطهم فتاة هيفاء متلثمة، تتشح بسيف يشرق على ضوء النار تسمى - الحاشي - ... وبدأوا يسمرون - الدحية - فقالوا: على العريس ان يقوم ويسمر مع السمار وإلا عدت العروس ذلك إهانة لها وقد تكون الحاشي هي العروس بنفسها، فيجب على العريس ان يحترمها وأن يكون أكثر السامرين حماسا.

قلت: ولكني لم اسمر قبل اليوم ولا أستطيع أن افعل ذلك.

قالوا: لا بد مما ليس منه بد.. فمال علي صاحبي وقال قم وسأكون بجانبك فمل حيث أميل. فاستعذت بالله من الشيطان ووقفت في الحلقة وجعلت - الحاشي - تميل يمنه ويسرة والسيف معرض بين يديها فوق رأسها، والناس يتحركون كيفما تتحرك، يمينا وشمالا وأماما وخلفا.

وبدأت الحركات في بادئ الأمر هادئة وادعة، يرددون مع الحركات كلمة دحية - ثم تتزايد الحركات والاهتزازات قليلا قليلا، حتى تصل إلى ذروتها، فتبدو الحاشي كغصن لدن تحركه الرياح العاصفة، والشباب السمار يتبعون الحاشي في هستيريا وجنون، وتخفت الأصوات، فلا تسمع بدل كلمة دحية - الا همهمة - حيه، حيه - ثم يتقدمون نحو الحاشي كالوحوش الضارية يبتغون افتراسها وقد أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم لقد جرفني التيار، فتحكمت الغرائز وتوارت العقول، وفي إحدى الهجمات الضارية على الحاشي - حتى لم يبق بينهم وبينها ألا بضعة قراريط وحتى كادوا يفترسونها، فأطلقت سيفها البتار تضرب به وجوهنا لتحمي نفسها، فلما رأوا الأمر جدا لا هزلا أنقلبوا إلى الوراء يتساقطون كأوراق الشجر يتعثر بعضهم بالبعض الآخر.

وما زال هذا المشهد يتكرر، وما زال السمار والحاشي في كر وفر حتى نشر الصباح أضواءه على الأرض وظهرت - الحاشي - وبانت معالمها فإذا بها عبدة سوداء تحسن الرقص.

انعم بقرب الحبيب

وكان قد مر بي مشهد آخر مثل هذا المشهد نسيت فيه ذاتي كما نسيتها في هذه الليلة... غير ان الدافع كان مختلفا... ففي المرة الأولى كان في حلقة ذكر دراويش الشيخ خيري حيث خشبت - حسب عرف الدراويش، لكن الأولى كانت في حب الله والثانية كانت في حب الحاشي.

.... بعد أن سقطت أعياء من - الدحية - نقلت الى داخل البيت عند نسيبتي أم محمد، وبالرغم من أن كل مفصل من مفاصلي حتى فقرات السلسلة الفقرية كانت تنبض بالألم وأجفاني التي هدلها السهر ليلة بطولها، لم تكد تشم رائحة الحبيب ملثما بقربها، حتى كأن لفحة الهية هبت رياحها من ناحية الحبيب فأبرأت أسقامي وأزالت آلامي، وكأن شيئا لم يكن.

اضطجعت على الفراش وجلست عند رأسي أم محمد تعبث بشعري وقالت: (يا حصيرة قلبي عليك لا أم ترعاك ولا أخت تعتني بشؤونك)، قلت: ألا ترضين أن تكوني مكان أمي ترعينني.. قالت - أي بالله منذ لحظتك لأول مرة في الشق من خلف الستارة أنشق قلبي وكأنك، مهجة قلبي كولدي محمد تحل به. قلت يا هناي ما أسعدني بهذه المنزلة - ثم قالت لابنتها غضية: يا غضية سخني ماء لأغسل رأس العريس الذي غبره السامر. قالت غضية لأختها الصغرى: - سخني أنت الماء وهاته لأمك - ففعلت البنت الصغرى ذلك، ولم تتحرك العروس. قلت لعل في الأمر شيئا، أو لعلها لا تريدني، وقد أرغمت على الزواج مني وقلت لأمها ما يمنع غضية أن تجلس بقربي

وتحدثني؟ أو ليست زوجتي: قالت : - بلى ولكن قناع الحياء لا يكشف عن وجهها إلا ليلة الدخلة-.

ورفضت كل وسيلة لتجلس بقربي أو تحدثني فزادت شكوكي واحترت في أمري.

زفة البرزة

بعد تناول الغذاء رحت في نوم عميق، ولم أفق إلا على صوت الطبل والمزمار، وأعيد السامر إلى ما بعد العشاء، ثم أحاط بي شباب العشيرة في غناء وفرح إلى أن أوصلوني البرزة، والبرزة بيت صغير من الشعر يقام بعيدا عن مضارب الحي ليخلو العريسان بحبهما.

مطاردة الصيد

دخلت البرزة فوجدت العروس تجلس على جانب الفراش ولا تزال متنقبة لا يظهر منها غير عينيها. رددت التحية فردت بصوت خافت احترت ما الذي سأبدأ به العشاء؟ أم الكلام... أم تبدأ المعركة من أول لحظة.

وجعلت أدور داخل البرزة كأني أبحث عن شيء ضائع، قلت فلعلهم علموها ماذا تصنع، فلتبدأ هي.

وفي أثناء إنشغالي ذلك بحثت عن العروس فلم أجدها، وجلست على الفراش، أنظر وقلت لعلها ذهبت تقضي حاجتها، ولكن انتظاري طال ولم تعد، قلت لعله أصابها مكروه في خروجها، أو لربما لدغتها أفعى أو عقرب، وخرجت مسرعا أناديها، ولكن لا أحد يرد. وبحثت من حولي فلم أجد أحدا

أترى لم يعجبها العريس فعادت إلى أهلها! لقد كنت كأني جالس على جمــر. من الذي أرغمها على الزواج مني اذا كانت لا تريدني؟ أذن ففي الأمر سر!

قالت (لست رخمة)

أخذت مصباح البطارية وجعلت أبحث في كل مكان فربما غلبها النـوم فنامت... وأخيرا وجدتها... وجدتها قابعة بقرب شجيرة وقد جمعت نفسها في زورها وكأنها كرة صغيرة قلت: ما الذي جاء بك هنا؟ فلم ترد، قلـــت أبــك مرض أو ألم؟ فلم ترد كذلك. فأمسكت بيدها وجذبتها بعنف حتى أوصلتها الى البرزة. قلت ما حملك على مثل هذا؟ ونطقت لأول مرة وقالت: - أتحســبني رخمة أقعد لك؟ "الرخمة - طير يستسلم لكل طارد" قلت ولكنك زوجتي. قالت وإن يكن نحن لسنا كالفلح أو الحظر تستسلم الزوجة لزوجها، بل لا بــد مــن المطاردة، ولولا أني أعرف انك حظري لا تعرف بطباعنا لما مكنتــك مــن نفسي. قلت: والآن هل سنتعشى؟ قالت - لعاد صحيح ما قاله الشاعر عنكــم، قلت وماذا قال الشاعر عنا؟ قالت: تزوج أبو تايه حظرية خليلية فقالت ضرتها

حتى أبو تايه قل عقله واخذ خليلية   يا ذان أبوها كبيرة يا عمها طباخ عنبية

يا عمها طباخ عنبيه

قلت: وماذا يعني هذا القول: قالت - يعني أن همكم في بطونكم

قلت: وأنتم أين همكم؟ قالت نحن همنا في عقولنا وحبنا وغرامنا واسمع مـــا تتغنى به فتياتنا:

يا صويحبي لا تبطاني   وانت وديدي وانا خلك

يعني يا صاحبي وحبيبي لا تبطيء علي لأنه ليس لي غيرك خل وفي ولا حبيب موله الحب.

قلت: وعلى هذا فهيا بنا لنمارس الحب ولنقطف ثمار الشجرة التـــي كـانت محرمة بالأمس.

قالت: هون عليك ولا تستعجل الأمر، فأنا لك وأنت لي:

قلت: إلى متى الانتظار؟ قالت غدا أو بعد غد. وعندها لم يبـق فـي قـوس الصبر منزع ونهضت كالذئب الجريح، أمضه الجوع وشفه الظمـأ، ولكـن الفريسة امتنعت علي وجمعت يديها ورجليها على احشائها تذود عن حياضـها وتمنع الشرف الرفيع من الأذى.

وفي غفو العقل وصحوة الغرائز، مزقت الأستار وهتكـت الحجـب ولكن لا أزال كما كنت ولا تزال الفريسة كما هي كالقوقعة متكـورة، علـى نفسها، لقد كلت يداي وتتابعت أنفاسي ولكن بدون جدوى. ولمـا لاح الفجـر بدأت بضربها ولكمها في كل مكان في جسمها وهي تصرخ وتقول أنا لك أنـا لك، فانكفأت على وجهي بغير حراك، وجاء أهلها وصاحبي فنظروني علـى تلك الحال، وعرفوا منها ماذا حصل - فضحكوا مني.

حلاوة النصر

ca&o&oG

قضيت النهار بطوله ممزقا أصحو بين الفينة والأخرى على قهقــهات صويحباتها يتضاحكن ويتغامزن على الحظري الذي ضحكت منه البدوية. ولم تمكنه من ان يقضي منها وطرا، كنت استعجل الساعات وأدفع الشمس نحــو الغروب لأسترد اعتباري بعد الذي ألحقته بي تلك الفتاة الصارمة التي تركتني أضحوكة لصويحباتها.

ودعيت لأتناول الغذاء بعد الظهر. كنت أتنــاول الطعــام مطــاطىء الرأس أمام الفتاة التي كنت أسترق منها النظرات... فإذا وقعت عيني علــى عينها غمزت بإحداهما غمزة التشفي وأردفتها بضحكة ممزوجة بالأســتعلاء والحنان.

انتظرت حتى غادرتنا أمها وأخواتها وأنا أعد نفسي لخوض المعركــة التي قررت أن أنتقم فيها لنفسي من هزيمتي في الليلة الماضية.

جلسنا سوية على الفراش وأنا أتحفز في ارتباك واضطراب... ســأتخذ الحيطة حتى لا أمكنها من الفرار كما فعلت في الليلـــة الماضيــة. وبدأتــها بالكلام: هل ستفرين كما فعلت بالأمس.؟ قالت: إذا مكنتني من ذلك. قلت: هل ستفعلين الليلة ما فعلته بالأمس. قالت : من الذي ينهزم بخاطره – قلت لمــاذا تزوجت إذا كنت لا تريدين للزوج ممارسة حقه من زوجته؟

قالت: من قال لك إنني تزوجتك مرغمة، قلت: فلماذا هذا العذاب؟ –

قالت: الفتاة لا تريد الزوج أنثى مثلها... تريد الزوج فحلا يقـهرها بـالقوة، ويأخذها بالعنف.. إن الزوجة تنظر باحتقار وازدراء للزوج الذي يجثو تحت قدميها. يطلب منها الإذن لدخول الجنة.

قلت: ولكني بالأمس كنت أحس بقلبي يتمزق وأنا أكيل لك اللكمات من غيظي وحنقي. قالت: إن لكماتك كانت أشهى على قلبي من الترياق ولولا اللكمات لما استبقيتني في هذا "الخربوش". وانتهت معركة الليلة بانتصاري بعد أن عرفت الوسيلة. عشت مع غضية أربعة أشهر بكاملها كأنها ساعة. وكانت كل ليلة تفعل مع فعلته أول ليلة وكأننا في كل ليلة عريسان..

وداعا يا غضية

وعدت في إحدى الأمسيات فوجدتها تبكي وتنتحب....

قلت: ما خطبك؟ قالت أن قومي سيرتحلون طلبا للماء والكلأ. قلت: ونحن ماذا يهمنا من رحيلهم ونزولهم؟ قالت: وهل يهون عليك أن أرحل معهم؟ قلت – كيف ترحلين وتتركينني؟ قالت: لا أستطيع أن أعيش بدون أهلي. قلت: ولكني أعددت لك بيتا في وادي موسى أفضل مئات المرات من هذا الخربوش.

قالت: لا أقدر أن أعيش سجينة بين أربع جدران وما يمنعك أنت أن ترحل معنا اذا كنت تحبني حقا كما تدعي؟ قلت: هل تعتقدين أنني أستطيع العيش على حبات من التمر وقليل من لبن الشنينة؟ قالت: تستطيع ذلك اذا كنت تحبني حقا. قلت: إن طبيعة جسمي لم تتعود الحياة على مثل حياة البادية ولكن أنت هل تحبينني حقيقة؟ قالت: ليتك تستطيع أن تكشف نار الحب المتأججة في

فؤادي. قلت: إذا كان الأمر كذلك، أفلا تجربين الحياة معي سنة حتى إذا عـاد أهلك في العام القادم تركتني ورافقتهم؟ وأخيرا اقتنعت أن ترحل معـــي إلـــى وادي موسى... أقامت الليلة الأولى في بيتي بوادي موسى، وكان البيت قـــد أعده لسكناه محمد الأسد وبنى حوله سورا عاليا لأنه كان يغار على زوجتـــه من أن تراها الشمس.

ولما عدت في فرصة الظهيرة لأتناول غدائي وجدتها قد أقامت ســلما من المنضدة والكراسي وصعدت إلى أعلى الســور تنظــر... فلمـــا رأتنـــي تراجعت للوراء فسقط الكرسي وسقطت هي الأخرى مهشمة فلما فتحت الباب أجهشت بالبكاء والنحيب وقالت شعرا:

يا حسرتي يومن سكروا علي الحوش

واسمع نهيق العير أحسبه حنين البوش.

تتحسر بذلك على نفسها عندما أغلق عليها الحوش، وكانت تسمع نهيق الحمير بدل صوت الإبل الحنون على صغارها. ثم قالت: اسمع يا اعمـــر والله لـــو وضعت على رأس كل جبل قطعة صغيرة من جسمي على أن أبقى بهذا لمـــا بقيت.

..... وأردفتها خلفي على الحصان وأوصلتها الى أهلها، وقضت ليلة في بكاء ونحيب وجاءني أهلها في الصباح يسوقون خمسا من الماعز التي دفعتها مهرا لغضية، وقال أبوها أسمع يا ابن أخي، هذه الماعز الخمس التي دفعتها مـــهرا لابنتي أعيدها إليك لتعطيها فصلتها، وإننا كلنا آسفون على هذا الفراق.

.... فتناولت قشة عن الأرض وناولته إياها قائلا: أعيد إليك قصلـــة ابنتـك غضية، وقد أبرأتها من ذمتي، وهذه الماعز الخمس أعيدها هدية منـــي إلـــى غضية مع ثلاثة جنيهات أخرى.

الخطيبة الثانية عشرة

ﮔﮕﮖﮗ

لقد تركت غضية في نفسي فراغا لم أستطع ملأه وجعلت وصديقي هارون نقضي معظم أوقات فراغنا في الصيد لعل غرائب الصدف تسوق لنا جنية أخرى في الصحراء، وكنت كلما رأيت شبحا أسود من بعيد مهما كان نوعه حتى ولو كان صخرة أسارع إليه بالجواد لعلي أجد فيه ضالتي ولكن هيهات.

أخبرني هارون في ربيع الحول القادم أنه ربما عادت قبيلة أبي محمد فيعود لنفسي الاستقرار وكنا في كل أسبوع نزور منازلهم ولكن بدون جدوى.

في وادي موسى وما جاورها كما في غيرها من البلاد مواسم كموسم النبي موسى وموسم روبين وموسم النبي صالح في فلسطين أما موسم وادي موسى فهو موسم النبي هارون. ففي مطلع الربيع لا يذوق أهالي وادي موسى من نتاج سنتهم الجديدة شيئا لا لبنا ولا سمنا ولا لحما إلا بعد أن يزور جميع أهالي الوادي قبر هارون ويذبحون له ضحية يرضونه بها لتحل في مواشيهم ومحاصيلهم البركة.

وموسم النبي هارون هو يوم واحد من كل عام، في هذا اليوم تلبس الفتيات أجمل ما لديهن من الثياب الجديدة الفضفاضة وبقدر ما تكون الفتاة أكثر غنى بقدر ما يكون ثوبها أكثر طيات وأكثر اتساعا وكانوا يعيرونني لان

ثيابنا لا تحتوي إلا على طية واحدة. ثم يزججن الحواجب والعيون، ويخرجن خصلا من الشعر هفهافة من تحت غطاء الرأس.

أما الشباب فزينتهم ثوب فضفاض وفوقه حلة أو حلتان، بقدر حالة الشخص المادية، وفوق هذا عباءة رقيقة تتلاعب بها الرياح تتدلى من كمها أردان الثوب التي تصل إلى الأرض، والشباب منهم يطلقون شعورهم في ذوائب تتدلى على الصدر، ويكحلون عيونهم ويتطيبون ولا يستعدون لأي عيد من أعياد السنة استعدادهم لعيد النبي هارون، يخرج الشباب في موكبتين الموكبة الأولى فوق ظهور الخيل المطهمة وسيوفهم تتدلى على جنوب الخيل وعلى ظهر كل واحد ترتفع بندقية، وموكب آخر من المشاة المسلحين بالبنادق. وتسير خلفهم الصبايا التي تكون هي الأخرى قد أخذت بأجمل زينتها، يتجمعون من كافة أنحاء وادي موسى ويحضرون شيخا من أهل القرية مشهورا بينهم بالتقوى والورع وحسن الطالع، فيسير أمام الجميع مفتتحا الموسم بعد أن يقرأ سورة الفاتحة، يخرجون من القرية متوجهين إلى البتراء لأن قبر النبي هارون بعد البتراء بمسافة طويلة ويبدأ الشباب في غناء الهجيني وهو النشيد المحبب لديهم وتبدأ الفتيات في غنائهن، فإذا ما وصلوا إلى باب السيك في موضع سهل جرت أولا مسابقة الخيل، حيث تبدأ الصبايا في الزغاريد، وكل صبايا حي يشجعن فرسانهن، ثم يضع شخص شارة بعيدة وتجري مسابقة بين الرماة والذي يصيب الهدف أولا يناله حظ من الزغاريد والغناء اكثر، ثم يتحرك الموكب فيدخل السيك، حتى إذا ما خرج منه إلى العراء أقاموا ميدانا جديدا للسباق والرمي وتتكرر هذه العملية ثلاث مرات حتى إذا ما وصلوا قبر النبي هارون على بعد حوالي سبعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من البتراء أقاموا ميدان سباق جديد، على رأس الجبل الذي

يقيم فيه، حتى كأن المرء ليخال ان القدر أوجد هذا الميدان خصيصاً على رأس ذلك الجبل، وتصعد في طريق وعر في هذا الميدان لتصل إلى رأس قمة جبل النبي هارون، حيث تطل من هناك على وادي عربة والجزء الجنوبي من فلسطين فبعضهم يقرأ الفاتحة وينزل وبعضهم يصلي ركعتين ويتناول الناس غداءهم هناك ثم ينصرفون، كما جاءوا في غناء وأهازيج ورقص، غير انهم لا يقيمون في عودتهم ميادين سباق إلا في مشارف القرية.

إلى الجنوب من القرية ميدان فسيح يستقبل السكان (ممن لم يخرجوا مع الموكب) الزائرين حول هذا الميدان ولا يتخلف منهم شيخ كبير ولا طفل صغير وهناك يجري السباق والرماية إلى أن تغيب الشمس.

لقد اشتركت في السباق والرماية في كل المواقع وفي الأغلب أن هجاماً كان يبيض وجهي ويرفع رأسي لأنه كان من خيول السباق الممتازة.

كان بين المتسابقين قائد المقاطعة في ذلك الوقت الضابط حكمت نوري كان فارع الطول يقعد في وجهه شاربان سوداوان كجناحي غراب يرتفعان إلى ما فوق عينيه، وهو كردي على ما أذكر كان يعتقد ان أي إنسان ينظر إلى شاربه يجب أن يمتلىء قلبه رعباً، وكان كل ما يملك من الكفاءة والمقدرة هما هذان الشاربان وكان متزوجاً من امرأة حورانية لا تنجب أطفالا. نزل حكمت نوري إلى الميدان فسبق جميع فرسان الحلبة، لم يسبقهم لأن فرسه بالفعل أسبق الخيل ولكنه سبقهم لأن الفرسان كانوا يخشون بطشه فكان إذا سابق فارسا ورأى الفارس أنه سيسبقه يأخذ بعنان جواده يجذبه إلى الخلف حتى يتمكن حكمت نوري من التغلب عليه، وكان فوق تسلطه بمنصبه له سلطة أخرى على أرزاق الناس فأصحاب الخيول في وادي موسى

يعتمدون في رزقهم على السياح الذين يركبون هذه الخيل إلى البتراء مقابل نصف دينار للرحلة الواحدة، فإذا أغضبه أحد الفرسان حرمه من حقه.

ولما لم يبق في الميدان غيري وكان حصاني من الخيول المشهورة في السباق تقدم مني حكمت نوري وقال يا أستاذ هيا إلى السبق وكانت لا تزال في نفسي عقدة الدرك اعتذرت وقلت إن حصاني تعب ولا أرغب في مسابقتك فأقسم وحلف بالطلاق إلا أن أنزل الميدان لمسابقته، فلت له أمام الحاضرين" أسمع يا حكمت بك لن أفعل ما فعله المتسابقون قبلي، فإذا سبقتك فلن آخذ بعنان جوادي لتسبقني وستغضب مني إذا سبقتك قال، أنت تسبقني، وجعل يهزأ بي، وكانت الصبايا لا تزال تحيط بالميدان تملؤه بالغناء والزغاريد.

قلت له دونك والميدان أذهب أمامي قال لا بل أنت تسبقني قلت بل أنت، فسبقني فلحقت به في منتصف الميدان ولما صرت بمحاذاته، قلت له، كيف ترى؟ فجعل يستحث فرسه وأنا آخذ بعنان الجواد والناس من حولنا لبغضهم إياه يصرخون الأستاذ سبق، الأستاذ سبق، وقبل نهاية الشوط بعشرة أمتار سبقته، وقطعت أنفه كما يعبرون عن السابق الذي قطع الميدان من أمام مسابقه، وكان في نهاية الميدان حفرة أعماه الغضب من سبقي إياه فلما دنا منها لم يأخذ بعنان الفرس فهوت في الحفرة وانقلبت الفرس عليه فكسرت له أربعة أضلع ونقل إلى المستشفى.

غير أن الزغاريد والغناء ملأت عنان السماء للأستاذ الذي سبق القائد.

في هذا الوقت كان قد اختفى نصف الشمس في غلافها، فاتجهت من نهاية الميدان نحو المدرسة وانصرف كل إنسان إلى بيته وفيما أنا أسير وإذا بفتاة

تسير أمامي كأنها السارية واستدارت بوجهها لترى الفارس فإذا بجبينها نصف الشمس الذي غاب أما عيناها فعينا ظبية هاجها الذعر، وأطلقت منهما سهاما وقعت في سويداء القلب فتسمرت في مكاني فأشاحت بوجهها وعادت تواصل سيرها. عادت ألي روحي التي سرحت في عالم الخيال ومرت أمامي غضية فقلت هذه والله ضالتي، فدفعت الجواد حتى لحقت بها، فقلت "يا بنت" فقالت ماذا تريد، سألتك الله من أنت، قالت: لا شأن لك بي واذهب في طريقك، قلت: فمن أي العشائر أنت؟، قالت ألم أقل لك اذهب في طريقك وإلا كانت عاقبتك وخيمة، فاوقفت الجواد وسارت هي، وجعلت أتبعها من بعيد حتى رأيتها تدخل منازل عشيرة تقيم في الجهة الجنوبية من قرية وادي موسى ولكني لم أعرف من هم. عدت إلى المدرسة لكن خيالها لم يفارقني، وبعد العشاء جاء هارون كعادته للسمر فوجدني على غير العادة شارد الفكر زائغ النظرات، فقال لي "ما بك"؟ "تركتك بخير وقد فزت في السباق فوزا لم يفزه أحد فبدل أن أراك منشرح الصدر هانىء النفس أراك على العكس من ذلك؟" قلت: أخي هارون الحق بأخيك وإلا فوالله إني لهالك، فقال: كفى الله شرك، أسرع وأخبرني ما بك، فذكرت له حديث الفتاة ومكان عشيرتها ووصفتها له. فعرفها وقال: دع عنك هذا الأمر، إن لهذه الفتاة حديثا طويلا، لقد مات أبوها وخلفها يتيمة، ولكن أمها قامت على تربيتها وتعهدتها أكثر من الرجال، فنشأت في أحضان الدلال فنبتت زهرة شامخة، يفوح شذاها فيملأ جنبات الوادي عطرا، وتهافت الشباب والموسرون كل يطلب يدها والكل يتمنى أن لو تكون من نصيبه، تلك هي عمشة، غير أن الله سبحانه وتعالى ابتلاها بابن عم لها، عابس الوجه مقطب الجبين، لو اطلعت إليه لاشتد بك الخوف ولملئت منه رعبا. يملك بندقية وحزاما من الذخيرة، ولا يملك من حطام الدنيا غيرهما،

وكلما تقدم شخص يطلب يد الفتاة، لقيه أبو جبيهة ابن عمها فصوب إليه بندقيته وقال: إما أن تموت وإما أن تتخلى عن أبنة عمي فيضطر الخاطب أن يتخلى عن طلبه أتقاء شر هذا الصعلوك العاتي. ثم ذهب لأمها الضعيفة وقال: ابنة عمي وخطيبتي، فإذا طلب منك أحد يدها فأخبريه بأنها مخطوبة لي، ثم أبقاها على هذا الحال خمس سنوات، لا يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يستطيع هو أن يجد رغيفا من الخبز يأكله، فكيف يستطيع تدبير نفقات الزواج ودفع المهر، وفتح بيت للزوجة؟

لقد ترك هذا الحديث في نفسي أثرا عميقا فقد أضاف إلى النار المتأججة في صدري بالشوق والغرام إلى دافع الشهامة لتخليص هذه الضحية من براثن هذا الوحش.

بت ليلة لم يداعب فيها النوم أجفاني. نعم أن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال. جعلت في عصر كل يوم أركب الحصان وأتجه جنوبا صوب منازلها لعل القدر يدفع بها إلى طريقي ومرت أربعة أشهر لم أرها فيها إلا مرة مصادفة في منعطف الطريق فارتبكت من المفاجأة، وسقط عن وجهها لثامها، ولم أكن في المرة السابقة رأيت منها غير عينيها وجبهتها، فلما أنقشع اللثام هذه المرة، رأيت ما لا عين رأت، رأيت أنفا رومانيا كحد السيف وشفتين كأطراف القرنفلة، وأسنانا كاللؤلؤ المنضود، وابتسامة في غضب، كانبثاق ليلة القدر، وجيدا كجيد الزرافة سبحان الله الذي صنع كل ذلك الجمال بلا تكلف ولا صنعة، فحييتها فازورت بوجهها ولم ترد التحية، وسارت في طريقها وسرت في طريقي غائبا عن الوجود مشدوه البال لا أدري ماذا يدور حولي في هذا الكون، وغطت تلك الصورة الساحرة عن عيني كل ما في

الوجود، وظل الحصان سائرا على سجيته، وأنا في غيبوبة، إلى أن أسدل الظلام ستائره على نور النهار، فعدت إلى البيت وقد تضاعف عن كاهلي ثقل ما أحمل.

وفي يوم جاءني شيخ العشيرة التي تسكن فيها عمشة يدعوني إلى تناول طعام الغذاء في حيهم، وكان له ابن في المدرسة، وكاد قلبي يقفز في صدري من شدة الفرح وأخذت بزينتي، وتطييت، توجهت إلى منازل الحي وجلست في الشق (موضع الضيافة) وما كدت أتناول فنجان القهوة إلا وصوت الرصاص يلعلع في الفضاء، وأسرع القوم نحو الرصاص، وإذا هو أبو جبيهة يريد قتلي فقال له شيخ العشيرة: كيف يجوز لك أن تعتدي على ضيفي؟، قال أبو جبيهة: سأقتله كائنة ما كانت النتيجة. فأمسك به بعض شباب الحي وأسرعوا بالغذاء فتناولت بعض اللقيمات تراكمت كلها في جوفي ثم ركبت حصاني وعدت أدراجي، وقد حيل بيني وبين ما كنت أشتهي من رؤية الحبيب.

بعد أسبوع وبعد أن عرفت بيتها في الحي، لبست ثيابا خفيفة وحذاء من الكوتش حتى لا يسمع وقع أقدامي على الأرض، وحملت بعض قطع اللحم، ولما صرت على طرف بيوت الحي، جعلت الكلاب تنبحني، وجعلت أسكتها بقطع اللحم، حتى وصلت إلى بيتها، فرفعت طرفه وانسللت إلى داخله، وأضأت المصباح في يدي بعد أن أخفيت نوره بمنديل حتى لا يشع إشعاعا ساطعا وتبينت موضع أمها، فأيقظتها من النوم فهبت مذعورة وقالت من أنت؟ قلت لها أنا عمر، قالت: وما الذي جاء بك إلى هنا؟ قلت حبي لعمشة، قالت: هل بيننا وبينك موعد على هذا اللقاء؟، قلت: كلا، قالت وإذن كيف تسمح

لنفسك أن تدخل بيتا بدون إذن صاحبه؟ قلت أعذريني يا خالة فإن الحب قـــد عصف بكياني، قالت: والله لولا اني أم أقدر هول المصاب الذي يقع على أمك حين يبلغها مصرعك لناديت في الحي الآن، فتسارعوا إليك فقطعــوك إربــا إربا، أشفق على شبابك واخرج بسرعة قبل أن يتنبه الجيران فيكتشفون أمرك وتكون فضيحة لنا وهلاكا لك. قلت لها: نعم سأخرج في الحال ولكن قبل هـذا أريد منك كلمة واحدة قالت: وما هي؟ قلت هل ستعطيني عمشـــة اذا تخلـى عنها أبو جبيهة؟، قالت انك لمجنون وهل يتخلى عنها أبو جبيهة؟، وهل رأيت ما حل بك بالأمس؟ قلت أنت ما شأنك، أريد جوابا على سؤآلي؟ قالت: نعـــم سأعطيها لأي إنسان يخلصها من أبي جبيهة، غير أن ذلــك بعيـد. نــهضت ورجعت أدراجي من حيث أتيت.

ظل كلام العجوز يرن في أذني، سأعطيها لأي إنسان يخلصها من أبي جبيهة، جاء هارون فأخبرته بما حدث، فجعل يضرب كفا بكف، وقـــال والله انك لتقامر بحياتك، في هذه الصفقة، قلت لا عليك، ولكن هات فما الرأي؟ قال "الرأي عندي ان تطلب النقل من هذا البلد وتنجو بجلدك". كان لأبي جبيهة أخ آخر يسمى عطية، وكان مختار العشيرة. ترددت كثيرا فـــي ان أبـوح لـــه بسري، ولكن سيطرة العقل علي في ذلك الوقت كانت مفقودة، فزرته يومـــا، وتجاهلت معرفتي بقصة أبي جبيهة وعمشة مع أنه لم يبق أحد فـــي الــوادي يجهل ما أصبح يدور في الوادي من رغبتي في الزواج منها، ومعارضة أبـــي جبيهة لذلك. قلت لعطية أنى ارغب الزواج من عمشة، ولك عشرة جنيـــهات، إن يسرت لي هذا الأمر، قال: ولكنها مخطوبة لأخي أي جبيهة قلت: ولكنـــه عاجز عن إطعام نفسه الخبز، فكيف يدفع المهر ونفقات الزواج؟ قال ولكنـــه يملك الإجرام، قلت وله عشرة جنيهات أخرى، ان هو تخلى عنها، قال عطيه

سأبحث الأمر فابق ما دار بيننا سرا لا تطلع عليه احدا، وفعلت الرشوة فعلها، وذهب عطية لأبي جبيهة يطلب منه أن يعجل بزواج ابنة عمه خصوصا وقد بلغت سن الرشد فقال أبو جبيهة ولكنك تعلم أني لا أملك شيئا. قال "إذا فخل سبيلها، والعرض لا يحمى بالسيف" فهاج أبو جبيهة وماج، وقال "ساحميه بالسيف" قال عطية: "ولكني سأكون خصمك في هذا الأمر وسآخذها غدا لتقيم عليك قضية، تخيرك فيها بين أن تتزوجها في الحال أو أن تترك سبيلها تتزوج غيرك"، قال أبو جبيهة "إذا فسأقتلها"، قال عطية "سأستطيع أنا والحكومة حمايتها منك"، فنهض أبو جبيهة غاضبا وتصور ان هذا الدفع جاء مني فحمل بندقيته بعد ان حشاها بالرصاص وجاء بالربابة وجلس قبالة الباب الذي اسكنه، وجعل يتغنى بهذين البيتين من شعر البادية.

والكبد ماتت من السومة　　　والعين ما صمدت ماها

عليك يا راعي الشومة　　　درب اللي مشت كيف ننساها

عرفت انه يهددني بذلك، ولكن هل لاسير الحب يا قوم تهديد؟ شمر عطية عن ساعد الجد، وأخذ الأمر على عاتقه، وما زال بابي جبيهة حتى تنازل عن عمشة بعد ان قبض العشرة جنيهات، وغادر القرية ورحل إلى فلسطين، جاء عطية يبشرني بنجاح الخطة فلم تسعني الدنيا من شدة الفرح غير ان عطية كان اكثر فرحا مني وفي اليوم التالي دعوت مدير الناحية المرحوم عارف التل، وقائد المقاطعة وجميع مشايخ وادي موسى، وأخذنا أربع ذبائح للخطبة وبعد غروب الشمس توجهنا إلى بيت عمشة، بحثنا عن عطية في كل أنحاء القرية ليذهب مع الجاهة، ولكننا لم نقع له على أثر نحرنا الذبائح، وبعد ان قارب الطعام من النضوج، سمعنا صوتا يشق الظلام آتيا من ربوة تقابل البيت الذي نحن فيه، وإذا به يقول: يا عارف بك يا حكمت بك،

ترى بنت عمي عمشة دخيلة على الشريف شاكر، وكان اسم الشريف شـــاكر في ذلك الوقت ملء السمع والبصر، وكان من فرسان عصره المغاوير ولـــه منزلة عند المرحوم الملك عبد الله منزلة لا يدانيها في الناس منزلـــة، بـــهت الناس لهذا النداء الغريب، ودعاه عارف التل ان تعالى وتقدم لنرى ماذا تريد؟ فجاء وجلس ثم قال: أنا أريد ابنة عمي لي، لقد وقع هذا الكلام علـــي وقـــوع الصاعقة فبعد ان لم يكن بيني وبين لقاء الحبيب إلا نصف ساعة ينضج فيـــها الطعام، وإذا به يبدد احلامي، ووقعت كالمغشي عليه من الموت لا ادري ماذا يدور من حولي؟ لقد كان عطية لا يستطيع مجابهة أخيه فـــي هـــذا الامـــر، فاتخذني ترسا احتمى به من أبي جبيهة، خرجت أم عمشـــة مـــن خدرهـــا صائحة مولولة: أنني لا أعطي ابنتي إلى شخص بعض أولاده من سن ابنتـــي، وبكت ودخلت على عارف التل ليحيميها من شر عطية وتكلم معـــه جميـــع المشايخ والحاضرون، ولكن عمشة والحق يقال تفتن العابد في صومعته، فأبى عطية ان يتخلى عنها وقال "تقطع عنقي ولا أتخلى عنها" وخطبـــت عمشـــة لعطية بدلا من عمر وعاد عمر بخفي عطية.

معرض الزواجات

تسامع الناس بفشل خطوبتي لعمشة فكثر العارضون للزوجات والمتبرعون بالنصائح وكان على رأسهم الشيخ بشير كان الرجل طويلا عريضا عربيدا يضع كل ما يملكه من ملابس على ظهره يدعي الفصاحة والنبوغ بين مشايخ وادي موسى لأنه الوحيد الذي كان بينهم يعرف التهجئة وقد حذرني صديقي هارون كما حذرني عارف التل مدير الناحية من صحبته لأنه لا يؤمن له جانب لذلك فقد اصطدمت به منذ الأسبوع الأول لدخولي وادي موسى وشكوته للسلطات وانقطعت ما بيني وبينه كل الصلات.

وفي صباح فشل ليلة خطوبتي عمشة دخل على غرفتي على غير العادة ضاحكا شامتا (وقال اضرب على كف بشير الذي أفسد عليك خطتك) فتجلدت وقلت (لقد عملت خيرا) قال بشير (كظ على غيظك) أي عض شفتيك من الغيظ واحشره) ثم قال (هل لك بان أزوجك ممن هي أحلى وأجمل وأشهى ألف مرة من عمشة)! فقلت في نفسي أتسلى وأياه بتجاذب أطراف الحديث. ومن تكون هذه الأجمل من عمشة؟ قال (أنها زعلة) قلت ومن تكون زعلة هذه! قال (زعلة) قلت أهي بنت! قال (بل متزوجة) قلت وهل تريدني ان أتزوج من متزوجة وقد عجزت عن الزواج من مخطوبة! قال أنت لا يخصك من الأمر شيء، قلت. لعلك تريد قتلي على السنوات التي قضيتها في خلاف معك. قال: لا الآن أنت الذي رجعت إلى جادة الصواب وأنا المسؤول

عنك. قلت أنت صاحب مقالب وأنا أريد أن ابعد عن الشر وأغني له ثم أنا لا أريد أن اعتدي على زوجة أحد. قال (ليس في الأمر اعتداء، أن زعلة ابنة أختي وقد مضى عليها عشر سنوات لم تنجب فيها أولادا وهي تريد أولادا ولذلك قررت أن تطمح وتتخلص منه، قلت ولكني لا أريد المشاكل وقد قررت أن لا أعيد التجربة. قال (أني أدعوك لتناول طعام العشاء في مضارب عشيرتنا على الشفا فاعتذرت ولكنه ما زال بي حتى قبلت وقدمت لنا العشاء في بيته الشعر شابة كأنها الذلول قامة مديدة نافرة النهدين، دافعة الردفين وعيون كأنها فناجين القهوة السادة غير أنها ملتثمة وحيتنا ثم انصرفت، وبعد تناولنا طعام العشاء قال أتدري من هذه! قلت لا. قال هذه زعلة ابنة أختي التي حدثتك عنها. قلت غدا أعطيك الجواب.

ذهبت إلى صديقي هارون وسردت عليه ما حدث بيني وبين بشير، فابتسم وقال. أوقعك في حبائله والله لا نجوت بعد اليوم. اعلم أن زوجها أقسى مراسا من أبي جبيهة: ثم هو اكثر مالا وأعز نفرا، فإذا علم بأنها طمحت من أجلك فإنه سيقتلك. وأنصحك أن تتجنب هذا الأمر وتبتعد عنه. قلت سأفعل. وفي الضحى حضر بشير إلى المدرسة فاعتذرت إليه عن هذه الخطوة وقلت يكفيني ما أنا به من مشاكل عمشة.

وبعد ثلاثة أيام أنتشر في القرية خبر هو أنني عملت سحرا لزعلة، حيث كتبت السحر على جناح طير فلما أكلته طار قلبها بحبي، وقد طمحت وتركت زوجها وانتقلت إلى بيت خالها بشير، وأرسلت الي مع رسول تخبرني أنها طمحت من أجلي، وأنها تعلن ذلك أمام الجميع وقد أرسلت مع الرسول بنقابها تلقيه علي، وهذا دليل على أنه يجب علي أن أسارع لحمايتها، فهي

مستجيرة بي ومتعلقة بحبي، والرجولة والشهامة على حسب عادتهم تدعوانني أن أستقبل الموت رخيصا في سبيلها.

ثم جاءني بشير يقول من العار أن تتخلى عمن أعلنت طموحها لـــك. قلت ولكنها متزوجة وزوجها متمسك بها ويحبها، قال (لكنها طمحت ولم يعـد لزوجها أي حق بها سوى ما دفعه من مال) قلت: يا بشير أنت ساع لقتلـــي. قال لا تخف أنت تعلن حبك للملأ وسأسير إلى جانبك أحميك من كل اعتـــداء وسر معي جهارا نهارا تعلل الطامح كما تريد وإذا حاول أحد الاعتداء عليـك سترى ما يحل به، وقم الآن واركب معي إلى بيتي أمام الناس جميعا فزعلـــه طامح عندي ومستجيرة بي، وأنت تريد أن تتزوجها علـــى ســـنة الله وســـنة رسول الله، وقد أستغل الرجل ضعفي بعد هزيمتي في خطبة عمشة، وما زال بي حتى سحرني وقادني إلى بيته أعلل الطامح وأعرض على زوجها مـــهره الذي نقده لها بواسطة الوسطاء، وهو يزداد إصرارا على إرجـــاع زوجتـــه ويهددني بالقتل إن أنا لم أتركها حتى تعود إليه وهي ترفـــض هـــذه العـــودة وبشير يؤجج في نفوسنا روح التمرد ويستمرىء هذا الغليان وفي أحد الأيـــام رحل بعيدا عن عشيرته، فتوجست خيفة من هذه الخلوة، وقلت. ربمـــا كـــان يدبر مكيدة لقتلي، ثم يلقي التبعة على زوج زعلة، فجعلت أقلل مـــن الـــتردد على بيته خوفا على نفسي، وفي إحدى زياراتي أخبرت زعلة بما يدور فـــي خلدي من خوفي من خالها بشير أن يغدر بي، واتفقنا سرا عن خالها أن تغير مكان طموحها في بيت أخيها فجن جنون بشير وجعل يدبر لنا المكائد.

علي نيازي بك يدخل في المعركة

كان علي نيازي بك التل ضابطا في الجيش التركي ثم عين مديرا لمخيم المساحة وكان عمره بين الخامسة والخمسين والستين فسمع من عمال المساحة من أهالي وادي موسى قصة زعلة فأرسل إلى خالها بشير وقال له، أنا أخلصها من زوجها لأن لي من الجاه والمال ما لا يقدر عليه عمر، وتمكن بشير من إقناع أخيها بما بذلوه له من مال أن يرحل وعائلته إلى معسكر علي نيازي يعيش في حمايته في موضع بسطه.

وانتقلت المعركة بين علي نيازي وزوج زعلة، أما أنا فحمدت الله على العافية. والواقع أنني لم أكن صادقا في حبي لزعلة بل كنت أتسلى عن حب عمشة بحب زعلة كما قال الشاعر:

لقد فضلت عمشا على الناس مثلما　　　على ألف شهر فضلت ليلة القدر

لقد كانت هذه تمثيلية عابرة أسلط بها الأضواء على زعلة لأبعدها عن عمشة، وكنت أنا على مقربة من زعلة لا يستهويني إلا قول الشاعر في حب عمشة:

أسر إذا نحلت وذاب جسمي　　　لعل الريح تسفى بي إليها

كما كنت أتغنى بقول الشاعر:

نقل فؤآدك حيث شئت من الهوى　　　ما الحب إلا للحبيب الأول،

لقد تظاهرت بالغضب من بشير، ولكني في الواقع قد حمدت الله لأنه أراحني من هذه التمثيلية المضنية المنهكة، ولم تكن القضية تتعدى قول ابن أبي ربيعة-

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا   لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

وانقلب بشير بعد ذلك من كيل المديح لي إلى التشهير بي وانضم إلى عطية في التحريض علي.

مقابلة بيني وبين عطية

وفي صباح أحد الأيام كنت أشرب الشاي قبل ذهابي إلى المدرسة إذ دخل علي عطية وكنت لا أعلم بما حدث لعمشة وجلس قبالتي وقال ما أجمل شيء أحببته في عمشة؟. قلت ولم هذا السؤآل؟ لقد ذهبت عمشة بجميع محاسنها قال عطية: كل ما في الأمر أنني لم أجد في عمشة ما يستحق منك كل هذا الهيام والافتتان قلت: وإذا كانت كما تقول، فلم جئت تدخلها على الشريف شاكر! قال: (لأنها ابنة عمي ويعيرني الناس لو أخذتها مني) قلت (لقد كانت لابن، عمها أبي جبيهة وأنت الذي أرغمته على تركها).

قال: دعنا من هذا وإني لأسألك بالله أن تقول الصحيح أي شيء أجمل فيها ثناياها أم عيناها؟ قلت (يا عطية سألتك الله لا تنكأ جروحي وتثير أشجاني بمثل هذا الحديث. (قال. والله لا أعفيك من الجواب على سوآلي).

قلت: أخاف أن يثير جوابي غضبك. قال لا: والله لن أغضب وأنا الذي سألتك. قلت: إذا كان لا بد أن أقول فسأقول قولا لا يرضيك. قال: قل ما تشاء ولن تجدني من الغاضبين. قلت: والله يا عطية. إنها إذا ذكرت يرتاح

قلبي لذكرها، وأبت النساء أن يلدن مثل عمشة وكان مطرقا وكانت تبدو على وجهه مسحة من السرور حسبت أن قولي هذا سيوتر عصب الشر في جبينه وشعرت أنه يريد الاستزادة من حديثي. فانطلقت وقلت:

عمشة يا خوي بيظة وبهرنج   كرفت فيها ريحة الطيب والعنبر الطلح

طمعت وأنا في هوى البيض طماع

أي أن عمشة بيضاء مع حمرة في وجنتيها شممت فيها رائحة العطر الطيب والعنبر المنطلق الرائحة ولذلك طمعت في حبها وأنا طماع في حب البيضاوات ثم قلت:

من مثل عمشة في أسنانها الثلج وثغرها الباسم. ان الظباء قد اكتحلت من نظرتها إليها، وحسدتها على جيدها المرمري، وهل تنكر يا عطية ان الشمس تشرق في جبينها؟ وسكت. فرفع رأسه وكأنه في غيبوبة وقال (ثم ماذا عن بقية جسمها وكان يريد أن يعرف عما إذا كنت قد اطلعت من جسمها على أشياء مما حرمه الله ليقتلني. فقلت. أما ذؤابتاها الذهبيتان المسدلتان على ظهرها فاقسم لك يا عطية انه لو تعلق بهما ابليس لغفر له الله ذنبه وأدخله الجنة. ففغر فاه وجحظت عيناه كالمأخوذ على غرة، وأشار بيده ان قد كفا، وصمتنا هنيهة خلتها الدهر وعاد يتكلم (يا أستاذ أيحق لك أن تبقي فتاة معلقة بهواك وقد خطبت لغيرك؟ أسألك الله ان لا تحملني دمك)، قلت: هي خطبت لك وأنا بحثت عن خطيبة غيرها يا عطية من الذي فك عقالها من خطيبها الأول وقربها الي وقربني إليها غيرك؟ وإذا كان هواها كان مزمنا بين ضلوعك، فلماذا لم تبعد أبا جبيهة عنها! فرد وهو يزمجر كالأسد الطعين (ويل لك من لئيم غادر، كأنك كنت تريد ان تلقيني بين فكي الرحى، لأغدو

من صيد أمس، ويحبس أبو جبيهة وبعدها يخلو لك الجو. قلت يا عطية أنـت مختار عشيرتك ورائد قومك، هل يدخل في روعك ان فتاة في عمـر ابنتـك وعندك زوجة تهابها اسود الغاب وأولادك يملأون البيت عليك وأنت بعد ذلـك لا عمل لك ولا تملك من الأنعام خابطة ولا من الارض مفرش عباءة. وتريـد من عمشة بعد هذا ان تبادلك الهوى والغرام؟

قال عطية وقد أرغى وأزيد وتهدد وتوعد (يا أستاذ لقد شططت فـي القول وتجاوزت حدك. ووالله لولا حرمة الجوار لفلقت هامتك، أنا أقول لـك كف عن حب عمشة فرددت عليه متمثلا بقول المجنون:

ألست وعدتني يـا قلـب أنـى	إذا ما تبت عـن "عمشـا" تتـوب
فها أنا تائب عن حـب عمشـا	فمـالك كلمـا ذكـرت تـذوب

قال عطية (دعك من هذا الكلام والزم مدرستك ولا تحملنا دمـك) وعندهـا خارت قواي وتفجرت دموعي وقلت له: (سألتك الله يا أبا محمـد أن ترحـم شبابنا ولا تحطم حياتنا وسأدفع لك المهر مهرين مهرا لك ومـهرا لأهلـها. فجلس وقال: (إن كنز اللؤلؤ الذي دفنته بيدك قد حطمته بالأمس بيدي قلـت؟ وأي كنز تعني؟ قال: (ألست انت الذي وصفت ثناياها باللؤلؤ المنضود؟ لقـد حطمت هذه اللآلي لتبدو في عينك قبيحة وسأحطم كل جميل فيها حتى تصبـح شوهاء وحتى يعافها كل الناس ومن ثم تبقى لـي وحـدي)، ونـهض قائمـا وانصرف: وسقطت على الفراش تتأجج في صدري ناران نار الحقد على هذا الوحش الهمجي وأتمنى مضغة من هذه الكبد الغليظة أشفي بها غليلي، ونـار الحسرة والأسى على هذه الضحية البائسة اليتيمة التي تسببت لها بكـل هـذه المآسي والآلام وأي شيء في مقدور غريب نازح مثلي أن يصنع. ظللت فـي

مكاني غارقا في أفكاري حتى تسللت خيوط النهار تلتف على مغزلها لتحـــل مكانها خيوط الظلام، وبدأ الصراع في نفسي هـل اذهـب إليـها؟ وأغـامر بحياتي؟ بعد ان انقطعت وشائجها، أم أبقى في مكاني يأكل بعضـــي بعضـــي والعذاب يقطع أحشائي؟ وأخيرا تغلب الجنون على العقل فتســربلت الظــلام اختفي في ثبجه واحتمي تحت كسره أتلوى بين أزقة القريــــة لأصــل إلـــى الطريق المفضي إلى حيها البعيد عن القرية، وبينما أنا أتلمس طريقي بخفـــة حتى لا يشعر أحد. وفي لية من ليات زقاق ضيفة وقع نظري علـــى ضـوء خافت ينبعث من سراج ضعيف، في سقيفة عمشة، فعـــالجت مـزلاج بــاب السقيفة فانفتح ودلفت إلى فراش العجوز فايقظتها، أما عمشة فقد فتحت عينيها لترى من المتطفل عليهم للدخول إلى سقيفتهم من غير أذنهم فـــي خلوتــهم، ولكن أين نظرات اليوم من نظرات الأمس! بالأمس كانت نظرة منـــها تقيـد الأسد الجريح فلا يصول ولا يجول، أما نظرات اليوم فترســـل ســهاما مـــن العتاب الجريح، سهاما من اللوعة المكبوتة. قالت العجوز (يا ولدي: ما الـــذي جاء بك إلينا وقد انتهى كل شي بيننا!؟) قلت. (جئت لأزور الضحية بعـــد أن أخبرني عطية بفعلته الدنيئة). فرفعت يدها الى السماء ودموعها تنساب علـــى وجنتيها. وقالت. (اللهم يا الله انتقم بقدرتك لهؤلاء الأيتام الذيـــن لا يملكــون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، اللهم سلط على عطية المرض والهم والفاقة، اللهم خذ بحقنا نحن الضعفاء من الأقوياء) ثم قالت: (يا ولدي لا بـــد وان عطيـــة الآن يقتفي أثرك فإذا وقع نظره عليك فانه سيقتلك فأشفق على شبابك وارحم أمـــك التي ترجو أوبتك، وقم على عجل ولـــترعك الملائكـــة وتحرســك القـــدرة الربانية.)

قلت: (والله لقد تساوت عندي الحياة بالموت وأنا غير آسف على ما تبقى من عمري بعد الذي رأيت ما حل بعمشة، طلبت ان أري ما حل بعمشة فرفعت العجوز اللثام وعمشة تمانع، ورأيت ويا هول ما رأيت، رأيت تمثال فينوس يتحطم بيد هذا المجرم الغادر. الشفتان الرقيقتان العذبتان تتمزقان وتتورمان الثنايا التي كان بريقها يضيء خبايا الهموم تتحطم هكذا أثلاثا وأرباعا. الوجنات التي كانت صفحة لامعة من الإشراق والبهاء تتحول إلى اوداج زرقاء مورمة، وانفجرت من هذا المشهد بالبكاء كالأطفال، وقامت العجوز تأخذ بيدي وتدفعني قائلة: يا ليتني لم انم هذه الليلة في القرية من اجل معالجة الطبيب ثم اخرجتني وأغلقت الباب خلفي وهي تقول (حماك الله، ووقاك شر أولاد الحرام) ولم ابتعد عن السقيفة غير بضع خطوات حتى سمعت صوت طلقة نارية يلعلع صداها في الفضاء ويخطف سنا بريقها بصري، فحسبت نفسي أصبت وارتميت على الأرض وقلت. (آه لقد قتلني عطية) وسمعته ينشد بعد ان ظن نفسه قتلني:

أمس الظحى من ورا رمة	والبزر بالكف اله صره
واللي وقع وانتثر دمه	ابحزنها ننكفي شره

ومعنى قوله في البيت الأول: أمس وقت الضحى في المكان المسمى برمة والرصاص وهو يعالج بالكف لتحشى به البندقية له صوت وازيز والذي سقط قتيلا وانتشر دمه من حوله اكتفينا شره في هذه الساعة الحرجة.

وجرى مسرعا إلى بيته يبشرهم فيه بأنه قد قتلني واستراح من شري. أما أنا فقد تحسست نفسي فوجدتني سالما معافى، ودلفت إلى غرفتي واندسست بين طيات فراشي أنطوي على همومي واستعرض شريط مأساتي وأتمنى ان يا

ليتها كانت القاضية، لشدة ما كنت أعاني وما يعتمل في نفسي، وظللت أتقلب في فراشي حتى أرسلت الشمس أول خيوطها الواهنة على أديم الأرض وأسرعت لأمر بباب السقيفة لأني كنت اقدر الجزع والهلع الذين كانا ينتابانهما. لان العجوز كانت تسمع كل شيء، ولم يكن جزعهما وهلعهما بسبب موت الحبيب، بل اكثر من هذا بسبب ما سينسجه الناس من الأحاديث بسبب مصرعي.

رأيت أم سالم وقد وضعت كفيها حول خديها، وقد تقوقعت حول نفسها كالكرة، فلما رأتني لا أزال على قيد الحياة انفردت أسارير وجهها وسمعتها تقول وأنا أمر بقربها.

يا عين لا تهوى الغريب ولو زها   يصبح غريب الدار لا لك ولا لها

تخاطب نفسها قائلة على لسان ابنتها أيتها العين! والعين هي الأداة الأولى التي تنقل صورة الحبيب إلى القلب وهي تنصح عينها بان تبتعد عن الوقوع في حبائل حب شخص غريب، ولو ظهر هذا الغريب جميلا زاهيا لأنه لا بد في يوم من الأيام أن يعود هذا الغريب إلى بلاده ولن تستفيد العين من حبه ولا صاحبة العين نفسها فرددت عليها بهذا البيت من الشعر:

شليتني يا الغظي شلة   هيلي بعاد وانا حفيان

أي انه لا ذنب لي أيها الفاتن القاتل بما حدث فأنت بجمالك القتال انتزعتني من الوجود إلى هذا المكان المقفر فأهلي بعيدون عني والطريق بيني وبينهم وعرة شائكة وفوق ذلك أنا حافي القدمين. وعدت إلى غرفتي لآخذ قسطا ولو قليلا من النوم وكتمت عن الناس ما حدث لي بالليل لئلا اجلب لهما

الفضيحة وبعد أسبوع استدعاني قائد المخفر مصطفى حكمت وناولني ورقة هذا نصها.

حضرة [illegible] السيد عمر [illegible]

بلغني بصورة سرية بأن الطلق الناري الذي أطلق ليلة ٢٧/٢٨ ر ٢ ١٩٣٣ [illegible] أطلق عليك قصداً من قبل شخص مجهول الهوية لذا أرجو الإجابة على الأسئلة أدناه على الترتيب

[illegible] ١/٤/٩٣٣

[illegible]

سؤال ١- هل حقيقة ما أشيع بأن الطلق الناري الذي أطلق ليلة ٢٧/٢٨ ر ٢ ١٩٣٣ أطلق على شخصك ؟

" ٢- من الذي أطلق العيار الناري وبأي قصد ؟

" ٣- في أي موقع جرى ذلك وما هي الأسباب ؟

" ٤- هل كان أحد حاضراً [illegible] ؟

" ٥- هل لديك إيضاحات أخرى تنورنا بالحقيقة ؟

وأجبته

ج١- نعم ان الطلق الذي أطلق ليلة ٢٧-٢٨-٢-١٩٣٣ أطلق على شخصي.

ج٢- إن الذي أطلق العيار الناري حسب اعتقادي هو بشير وكان يقصد بذلك قتلي.

ج٣- جرى ذلك خارج القرية من الشرق على الطريق العام، أما القصد فهو قتلي لأن زعلة رفضت أن تتزوج من علي نيازي وهو يعتقد انني أنا

الذي حرض زعلة على هذا الرفض، مع انه لا دخل لي في الموضوع.

ج٤- لم يكن أحد حاضرا لأني كنت أسير وحدي.

ج٥- ليست لدي أية إيضاحات أخرى.

لقد كنت أعلم مقدما أن القضية لن تثبت على أحد لأن الظلام "أبو ساتر" وقررت أن اتهم بشيرا لأن الغرض الذي كان يقصده بشير من إخبار قائد المقاطعة هو التشهير بي وبعمشة حتى تجلب إلى المحاكم ودوائر البوليس وفي ذلك ما فيه من المرمطة والشرشحة فأبعدت عنها ذلك باتهامي بشير وعدم ذكر عطية، غير أن عطية استغل هذا الحادث وقدم ضدي شكوى يطلب فيها نقلي من وادي موسى فأجيب طلبه ونقلت إلى قرية الشوبك وجاء في الأمر على أن يجري تبادل الوظيفة بيني وبين معلم الشوبك خلال عطلة العيد.

لقد خرج التلاميذ جميعا يودعونني إلى مسافات بعيدة خارج القرية وأعينهم تفيض من الدمع وقد يعجب القارىء من حب التلاميذ وتعلقهم بي ذلك لأنني كنت شديد الإخلاص في عملي لا أسمح لنفسي ولا لأحد ان يأخذ من وقت التلاميذ ولو دقيقة واحدة إليك إثبات ذلك.

١- تقارير المفتشين التي كنت أحرص على أن لا تقل عن تقدير الجيد جدا.

٢- شكوى على بشير لأنه حاول أن يأخذ من وقت التلاميذ في عمل خاص بعض الوقت.

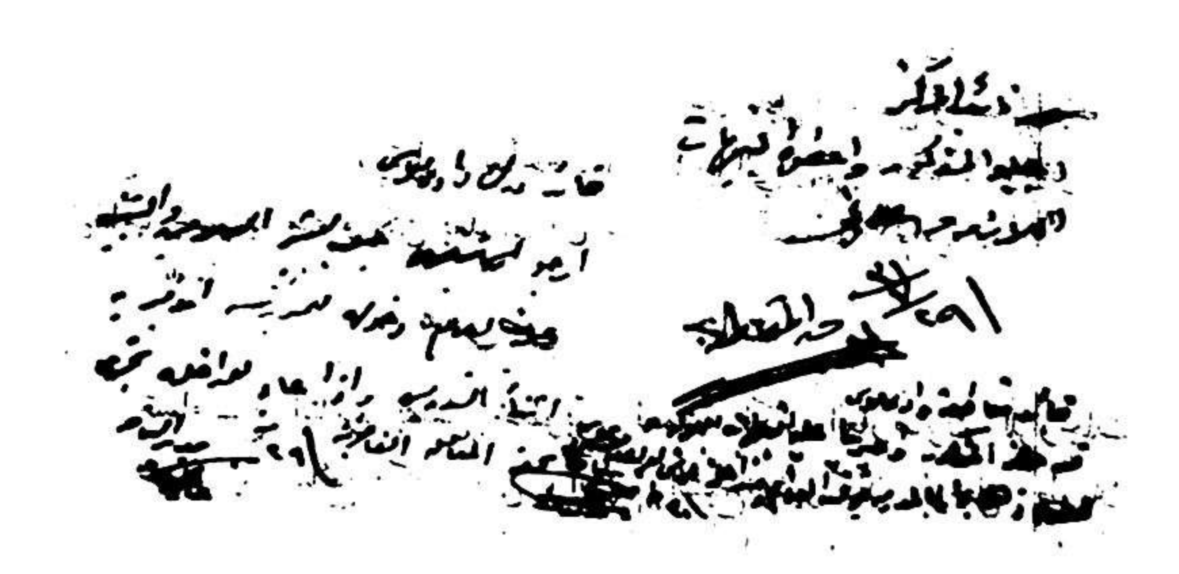
حضرة مدير ناحية وادي موسى المحترم

يحضر للمدرسة بين آونة وأخرى شخص يدعى بشير بن سلامة السلامين يكون حجر عثرة في سبيل تقدم الدروس اليومية من الأشياء التي يتخذها من المساخر والوقوف بيني وبين التلاميذ أثناء الإجابة.

لذلك أرجو أن تتخذوا معه التدابير اللازمة في سبيل ردعه عن هذا العمل وإلا اضطر لمراجعة محال إيجابية أخرى سيدي

معلم مدرسة وادي موسى

عمر عناني



طرفة في رحلة صيد

꧁꧂

قال صديقي عارف التل مدير الناحية صباح يوم جمعة هلم يا أستاذ لنخرج في رحلة للصيد "للتخفيف عني" فخرجنا وكان الجو صحوا والشمس مشرقة وابتعدنا بين التلال والجبال، غير أن الطقس بعد الظهر تغير فهبت عاصفة عاتية تبعها مطر كأنه منصب من أفواه القرب ولم نستطع معرفة الاتجاه الذي نسير فيه فأطلقنا للخيل العنان تهتدي هي على طريقها فسارت بنا حتى أوصلتنا إلى خربوش (بيت شعر) خرج صاحبه يستقبلنا متهللا فانحدرنا عن الخيل وتولى صاحب البيت ربطها ثم أدخلنا إلى خربوشة وقد علا وجهه الفرح والسرور لأنه وجد لطراحته الجديدة الملونة، وجد ضيوفا يليقون لطراحته الجديدة وبسطها وأجلسنا عليها ونهض ليصنع لنا القهوة ودار من حولنا فقال لعارف التل: بالله يا ضيف اكفف الفرشة خوف أن يطأها بقدمه الموحلة فكفها عارف ودار من حولي ليحضر القهوة فقال لي بالله يا ضيف كف الفرشة فكففتها تحتي وما زال كلما أراد أن يتناول حاجة يطلب منا أن نكف الفرشة خوفا عليها حتى جلسنا عليها القرفصاء وأخيرا قلت لرفيقي عارف قم فنهض وهو لا يعرف السبب وطويت الطراحة أربع طيات وتربعت على الأرض ووضعت الطراحة على رأسي وقلت لا أجد مكانا أنسب من هذا لطراحتك.

الرحيل إلى الشوبك

توجهت إلى الشوبك وقبل أن اصل إلى قلعة الشوبك مررت بـــوادي نجل، وكان يسقيه سيل نجل، إلا أن الأرض المنزرعة عليه كانت مقتصـــرة على عشرين دونما حديقة للمدرسة، وبعد نجل أشرفت على قلعة الشوبك وإذا بها بعض بيوت بقية قلعة قديمة على قمة جبل تحيط به الأودية مـــن جميـع الجهات ولها مدخل واحد من باب واحد في طريق يدور بين الأودية، ويتسلق الجبل القائمة عليه القلعة، في طريق متأبطة بطن الجبل، وسائرة في خشـــية وحذر، حتى تصل إلى مدخل القلعة، وأنت بين اليأس والرجاء، في بلوغ قمـة هذا الطود وفي خلال ربع ساعة تستطيع أن تدور حول هذه القلعة وقد حفـــر في منتصف هذه القلعة بئر عميقة، تتصل من أعلى القمة إلى ان تصل إلـــى مستوى الينابيع في الوادي بواسطة درج، وقد زار القلعة حينما كنـــت فيـــها القاضي محمد البرادعى وأصر على النزول في البئر ونزلـــت معـــه، ولمـــا وصل إلى خمسين درجة أغمي عليه وحملته وصعدت به وهو بيـــن الحيـــاة والموت، وأعيد إلى الطبيب في سيارته وكان حماة القلعة عندما يحـــاصرون من الأعداء، يستقون من تلك البئر ولا يهتمون بالحصار مهما طـــال امـــده، ويستطيع قلة من المحاربين حماية القلعة، لأنه لا يمكن الوصول إليها إلا مـــن طريق واحد، ولم يكن يقطن في القرية إلا بضع عائلات فقيرة وبعض التجار أما بقية عشائر الشوبك فكل عشيرة لها خربة تقيم فيها واشهر هذه الخـــرب خربة ابي مخطوب وهي مقر عشيرة الهباهبة. والمدرسة كانت عبارة عـــن

غرفة واحدة تعمل في فترات متقطعة وعندما ترحل العشائر في فصل الربيـع طلبا للكلأ يتناقص عدد الطلاب حتى انهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، وهم أبناء الفقراء سكان القلعة وكانت المدرسة زراعيـة، والمدرسـة فـي قلعـة الشوبك، والمزرعة في وادي نجل، والمسافة بينـهما تزيـد عـن الخمسـة كيلومترات وعندما كنا نخرج لتطبيق درس الزراعة العملي، كان لا بد لنا ان نخرج من منتصف النهار، حتى نستطيع قطع المسافة ذهابا وإيابـا، ونطبـق الدرس، واغلب الاحيان كنت اخرج مع ثلاثين طالبا الى المزرعة فيختفـون واحدا اثر الواحد خلف الصخور فلا يصل معي منهم اكثر من خمسة طلاب، هم سكان نجل فقط واذكر اني عاقبت طالبا على هذا الفرار فترك المدرسـة كلية والتحق بخدمة الجيش العربي، وهو الآن قائد أحـد الألويـة الأردنيـة ويسمى محمد مطلق الهباهبة.

أنهيت العام الدراسي فجاءني كتاب من مدير المعارف بعدم مغـادرة الشوبك والبقاء هناك حتى ينضج محصول المزرعة واجمعه، وعلـى هـذا الحال فسأحرم من العطلة الصيفية، مقابل ثلاثين كيلو غرام من الفول تسـاوي ثلاثين قرشا ومائة كيلو غرام جلبانة تساوي نصف دينار، وجمعت ما تسـاوي حاصلات الحديقة فإذا بها لا تساوي دينارين ونصف، فتظلمت إلـى مديـر المعارف السيد أديب وهبه وتبرعت بثمن محصول الحديقة من راتبي على ان يسمح لي بقضاء العطلة الصيفية في بلدي فجاءني الرد بان هذا الأمر مختص بمدير دائرة الزراعة. فكتبت رسالة خاصة إلى مدير الزراعة أشكو لـه مـا

أقاسي من ضيق وألم وبعد انقضاء شهر ونصف من المكاتبات ســـمح لـــي بتسليم الحديقة إلى المختار مقبل أبو دحية فسلمته إياها، ولم أعد للأردن حيث عملت في فلسطين بعد ذلك.

تم الكتاب والحمد لله

القدس

محرم الحرام سنة ١٣٩٢هـ

آذار سنة ١٩٧٢م

سَمَرُ البَادِيَةِ

ضرب المكانس

من يَوميات معلِم في البَادِيةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

حفيدي الحبيب وائل

كنتُ قد طلبتُ من والدتك مراراً وتكراراً أن تعمل على طباعة كتابي «ضرب المكانس» مرة أخرى...

فقد تمت طباعة في القدس عام ١٩٧٢ ومازال الناس يسألونني عنه ومتى تظهر الطبعه الثانيه.

والدتك لم تفي بوعودها وأنا بعيد في أمريكا لا حول لي ولاقوه.

وحين حضرت لزيارتكم في عمان في الشهر الثامن من العام الماضي ١٩٩٩ وعَدتني يا وائل بطباعته.

وأنا الآن في التسعين وما أرى الا وعودك كوعود والدتك... وأنا فقط أذكرك عسى أن يكتب الله لي أن أرى هذا الكتاب جدك.

عمر عناني

ميريلاند الولايات المتحدة

٢٠٠٠/٤/١٠



دار وائل للنشر

شارع الجمعيه العلميه الملكيه

مقابل باب الجامعه الاردنيه الشمالي

هاتف: ٥٣٣٥٨٣٧ - ٦ - ٠٠٩٦٢

فاكس: ٥٣٣١٦٦١ - ٦ - ٠٠٩٦٢

عمان - الاردن